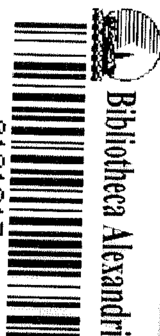
تاريخ المصريين ١٠٦

الشيخ على يوسف وجريدة المؤيّد

تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن

الجزء الثانى

د. سليمان صالح



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تـاريخ المصــــريين   (١٠٦)

• تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد

تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن

الجزء الثانى

د. سليمان صالح



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

١٩٩٧

المبحث الثانـــى

موقف المؤيد من الاحتــلال

١٩٠٠ ـ ١٩٠٧

اضطر الخديو عباس فى أواخر عام ١٨٩٩ الى التوقف تماما عن مقاومة الاحتلال ولو أنه كان لايزال حاقدا عليه ، وقد كان لتدهور العلاقات بينه وبين السلطان العثمانى ، ويأسه من الحصول على مساعدة فعالة من أوروبا ضد الاحتلال اثر على اتجـــاه الخديو عباس لمهادنة الانجليز ٠

وقد قام الخديو عباس بزيارة لندن فى يونيه ١٩٠٠ ، ونتيجة للحفاوة التى لقيها الخديو فى زيارته تلك صرح بأنه أصبح يفهم الانجليز أكثر مما مضى وأشار الى احترامـــه لكرومر ووجوب التفاهم معه ، وأنه لم يحدث بينهما اية خلافات الا حين يتدخـــل آخرون بينهما لذلك فهو يفضل التعاون معه رأسا ، ومن هنا أفصح عباس عن الثمن الذى يريده للتعاون مع الانجليز وهــو أن يكون له نصيب فى ادارة البلاد ٠

وقـد انعكس موقف الخديو على جريدة المـــؤيد التى بدأت حملاتها ضد الاحتلال تفتر تدريجيا ، وان ظلت تؤكد أن المصريين يستثقلون حكم الأجنبى ، ولكن فطرتهم السلمية تمنعهم من الالتجاء الى السلاح لاسترداد حقوقهم ، وأن المصريين عن بكرة أبيهـــم ينظرون الى انجلترا كمغتصبة للحقوق من خديويهم ٠

ورغم أن المؤيد ظلت طوال الفترة السابقة على عام ١٩٠٠ تهاجم أطماع الانجليز فى السودان ، فقد سعى صاحبها الشيخ على يوسف فى ابريل ١٩٠١ الى السير وينجت حاكـــم السودان الانجليزى ليسمح للمؤيد بالدخول الى السودان راضيا بالشرط الذى فرضه الحاكم البريطانى بعدم الاساءة الى حكومة السودان فى المستقبل ٠

كما اتضح اتجاه المؤيد التابع لموقف الخديو من ردها على ما نشرته جريدة « لاباترى » الفرنسية التى أكدت أن الغرض من سفر الخديو الى الاستانة هو تحريك المسألة المصرية ، وقد ردت المؤيد على ذلك بأن سفر الخديو للاستانة كان بغرض تقديم فروض التعزية للحضرة الشاهانية فى وفاة حرمه ، كما هاجمـت المؤيد الجريدة الفرنسية قائلة ان من المضحكات أن تجهل جريدة لاباترى التى نشرت فصولا ضافية عن المسألة المصرية كنه العلاقة بين مصر والدولة العلية وما اذا كان للاولى الحق فى أن تطالب الثانية بأمر ليس من حدودها واختصاصها اذ ان العلاقة بين الخديوية والمسألة المصرية توقظها من سباتها مع أن مفتاح حلها بيد الدولة العلية والدول الأوروبية وتصاريف الزمان ، ولولا ذلك لما رسفت مصر فى قيود الاحتلال حتى الآن ٠ لكنها فى الوقت نفســه أكدت أن الحكومة العثمانية تهتم فى هذه الأيام اهتماما زائدا بحل المسألة

المصرية ووضعها موضع النظر والالتفات ، ومعلوم أن الانجليز لايهتمون بالمسألة المصرية الا لدى دوران الكلام عليها فى الدوائر السياسية ، وهم الآن يتصرفون فيما لا يخصهم كتصرف المـــالك بعقاره وبلغوا شأوا بعيدا فى احتلالهم مع أنهم يقولون انهم يحتلون مصر احتلالا مؤقتا ٠

ويكشف هذا بوضوح أن المؤيد قد حاولت أن تنفى عن الخديو قيامه بأية محاولات للاتفاق مع السلطان لتحريك المسألة المصرية فى محاولة منها للحفاظ على الهدنة بين الخديو والاحتلال ، فى الوقت الذى كانت تحاول فيه تعليق الأمل على السلطان العثمانى فى تحريك المسألة المصرية ، والتأكيد على أنــــه اذا طلبت الدولة العثمانية الآن جلاء الانجليز عن مصر فسوف تساعدها على ذلك دول التحالف الثلاثى لأن ارجاع مصر لصاحبها الحقيقى جلالـــة السلطان يهم دول أوروبا جميعها ، وكلها تعلم أنها اذا ساعدت انجلترا على دوام احتلالها تضر بمصلحتها الخاصة ، وذلك فى محاولة منها لحث الدولة العثمانية على فتح باب المفاوضات لتحديد موعد جلاء الانجليز عن مصر ٠

وهذا يوضح أن موقف الخديو وجماعته من الاحتلال لم يكن موقف تحالف أو تعاون بقدر ما كان موقف مهـــادنة وأنه موقف مرحلى يمكن أن ينتهى بمجرد ظهور أمل فى مساعدة احدى الدول لهم على جلاء الانجليز عن مصر ، وقد انعكس هذا على موقف المؤيد من الاحتلال ٠

وقد أيدت المؤيد زيارة الخديو عباس للسودان ، ودافعت عنها مؤكدة أن خديو مصر صاحب الشأن الأول فى هذه البلاد ، وليست انجلترا فيها الا عضدا له فى ادارتها ، ودافعت المـــؤيد عن هذه

الزيارة ضد الذين يتوهمون أن زيــارة الخديو للســـودان تعتبر اقرارا علنيا على رفع العلم الانجليزى على السودان ، بأن اعتراف الخديو بوجود العلم الانجليزى لم يبدأ من هذه الزيارة بل بـــدأ منذ ١٩ يناير ١٨٩٩ ، ولم يتجدد بزيارة الخديو للسودان الا رؤيته بنظر العين ، ولا يمكن أن يكون قد رآه مسرورا مبتهجـــا أو غير متألم من رؤيته لأنه قبل كل شيء وطني اشتهر بالغيرة على وطنه وحب استقلاله •

وقد أكدت المؤيد أن الضباط والجنود المصريين فى السودان قد حزنوا لفراق اللورد كتشنر عندما نقل الى جنوب أفريقيا لأنه كان لا يميز بين جندى وجندى من المصريين والانجليز ، رغم أنها قبل ذلك بثلاثة أشهر قد هاجمت معاملة الضباط الانجليز للجنود المصريين فى السودان ، « ووصفتها بأنها معاملة لا انسانية حيث الكرباج هو الوسيلة الوحيدة للعقاب » •

ويوضح هذا اضطراب موقف المؤيد من الاحتـــلال فى هذه الفترة ، ويمكن تفسير ذلك بالتزام المؤيد بخطة الخديو عباس فى مهادنة الانجليز ، وتبعيتها له ، وتذبذب مواقف الخديو نفسه ، ففى الوقت الذى اتجه فيه الى مهادنة الاحتلال بدأ عام ١٩٠٢ يحــاول تحسين علاقته بالسلطان العثماني ، وذلك عن طريق اعادة أعضاء جماعة تركيا الفتاة المقيمين فى مصر الى الاستانة ، ووقف نشاطهم المعادى للسلطان فى مصر مما أغضب كرومر ، وأدى الى أزمــات بينه وبين عباس منها أزمة ليون فهمي الذى اختطفه أعوان عباس لترحيله الى الآستانة ، وحين علم كرومر بالأمر أرسل أحد كبار الضباط الانجليز العاملين فى البوليس المصرى لاستجواب عباس فى هذا الموضوع الأمر الذى أثار غضبه •

وكنتيجة لأزمة ليون فهمى فقد هاجمت المؤيد لورد كرومر ووصفت اقتحـــام حكمدار البوليس الانجليزى للمطبعة العثمانية والاستيلاء على الأوراق الخاصة بجماعة تركيا الفتاة بأمر اللورد كرومر بانه الحادث الفظيع ، والخطر الأصفر الذى يهـــدد حرية القضاء ، ويذهب بامن الناس على أموالهم وحقوقهم ، وتساءلت : هل فقد الأمن على الأموال والحقوق وضـــاعت كل ضمانة للقانون والنظام فلم تبق الا الوكالة الانجليزية لتكون مامن الحقوق وملجـأ الخائفين عليها ؟ لقد نص القانون المصرى على ان كل من فك ختما من الأختام الموضوعة لحفظ اوراق او امتعة من قبيل ما ذكر فى المادة السابقة يعاقب بالحبس من ستة اشهر الى سنة فان كان الفاعل لذلك هو الخفير نفسه يعاقب بالحبس من سنة الى ثلاث سـنين ، ولكن الخطر العظيم على القانون من هذه الجهة أن الذى فك الاختام المذكورة هو حكمدار البوليس الانجليزى بناء على امـــر اللورد كرومر وبعد استشارة المستشار القضـــائى الانجليزى ، وهؤلاء لا يجسر القانون المصرى أن يحاكمهم ، ولا ينتظر أن محكمة الوكالة الانجليزية تحل فى ذلك محل سلطة القانون الأهلى ، فما أضـــيع القانون المصرى بعد اليوم ، وما أبعد الضمانة عن احكامه ، كمـــا وصفت المؤيد حادثة الاستيلاء على اوراق المطبعة العثمانية ، بانها جريمة ارتكبها اللورد كرومر والمستشار القضائى .

وقد اتجهت الى نقل مقالات المستر بلنت عن مساوىء العدالة الانجليزية فى مصر ، الذى قام بحملة واسعة فى الجرائد الانجليزية عن مساوىء الحكم البريطانى بناء على اتفاق بينه وبين الخديو عباس ، وقد هاجم المستر بلنت اللورد كرومر الذى جعل نفســـه قابضا على زمام سياسة الادارة فى مصر فضلا عن القوة التنفيذية فيها بواسطة تعيينه انجليزيا فى كل ادارة يسمونه مستشارا ، وقد

أصبحت حكومة مصر فى أيدى بضعة أفراد من شباب الانجليز لايتجاوزون عدد الأصابع قد عينهم اللورد كرومر ليطيعوه طاعة عمياء ، كما صارت أمور القضاء كلها فى يد اللورد كرومر يديرها كما يشاء حسب أفكاره ، وصارت محكمة الاستئناف محشوة بالانجليز الذين يختارهم اللورد كرومر ، وأصبحت النيابة معرضة لمكافآت ومعاقبات على أمور سياسية •

كما شهد عام ١٩٠٢ خلافا آخر بين الخديو عباس واللورد كرومر حول تحديد الحدود بين السودان والحبشة ومن الذى يوقع هذه المعاهدة ، وقد أشارت المؤيد الى هذا الخلاف وهاجمت النظار الذين لم يحفلوا بهذا الأمر وجعلوه من الأعمال الثانوية ، فرضوا أن تلف الرايتان على يد واحدة توقع على اتفاقية الحدود السودانية الحبشية ، وطبعا كانت هذه اليد الواحدة يد انجلترا لا يد مصر ليصير معنى انجلترا ومصر لدى الحبشة انجلترا وحدها وليكون السودان المصرى يوما ما سودانا بريطانيا •

ورغم ذلك فان الخديو عباس قد أناب عنه الدوق أوف كونوت ولى عهد انجلترا وزوجته فى وضع الحجر الأخير فى خزان اسوان خلال افتتاحه له مما أثار استياء الحركة الوطنية لكن المؤيد ابرزت هذا الخبر ودافعت عن تصرف الخديو عباس حيث قالت : ان الواضع الرسمى فى الحقيقة للحجرين الأول والأخير هو الخديو ، ولكنه أناب عنه أولا سمو الدوق وثانيا سمو الدوقة ، والإنجليز كانوا أظهر الموجودين فى الاحتفال ميلا وتوادا مع الجناب العالى واخلاصا له ، واللورد كرومر كان يحاكى سمو الدوق فى تظاهره العظيم بالمودة والصداقة بل حسن الولاء للجناب العالى الخديو •

وقد اتجهت المؤيد خلال عام ١٩٠٣ الى الاشارة باللورد كرومر

ففى تعليقها على تقريره السنوى لعام ١٩٠٢ وجهت المؤيد الشكر اليه على رفضه لبيع سكك حديد مصر وقالت : « ان كل من قرأ كلام اللورد كرومر فى باب التعليم والتربية فى مصر رآه محبا لترقية المصريين ، وهو يستحق جميل الشكر والثناء من جميع المصريين » وأن كرومر لم يستلفت نظر المصريين الى تقريره السنوى بمثل ما استلفتهم اليه فى هذه السنة ، ولم يكن كلامه فى أى تقرير أوفى وأعم وأشمل للمباحث المختلفة والمواضيع المهمة منه فى هذا العالم ، ثم هو لم يكن الطف فى حكمه لهجة وأكثر اعتناء بالرأى العام المصرى وأقوال الجرائد المصرية منه فى هذا التقرير الأخير .

وقد شهد عام ١٩٠٣ زيارة الخديو عباس الثانية للندن ، التى وصفت المؤيد مالقيه عباس خلالها من حفاوة ملك الانجليز ، وقالت « ان الخديو غادر لندن وهو يشكر جلالة الملك ، وأعضاء الأسرة الملكية ، ويثنى على اشراف « لندرة » وعظمائها ، ونحن معاشر المصريين مسرورن كثيرا لما لقى من عظيم الحفاوة فى هذه العاصمة ، وأنه يعنى المصرى كثيرا أن تكون العلاقات حسنة والمودة مستحكمة بين عابدين وباكنجهام ، بل هذا انفع للمصريين ما دامت هذه المودة مبنية على تبادل الاخلاص من الجانبين » .

وقد صحب الخديو على يوسف فى رحلته ، ودفعه الى الاتصال بالصحفيين الانجليز الذين اقاموا له حفلا ألقى فيه خطبته الشهيرة التى قال فيها « نحن معاشر المصريين نحب وطننا ونتمنى قبل كل شىء أن يكون حرا بعيدا عن كل تداخل أجنبى ، ولكن اذا لم نستطع أن نكون كذلك فأولى بنا أن نكون أصدقاء لأمة قوية تنفعها صداقتنا كما تنفعنا صداقتها ، كما تمنى أن يكرر الخديو زيارته للعاصمة الانجليزية ليزيد روابط المحبة والمودة مع جلالة الملك ادوارد السابع » .

وقد نشرت المؤيد نص خطبة على يوسف ، ودافعت عنها ، وقد عكست الخطبة ودفاع المؤيد عنها ما يلى :

١ ــ ان هذا الموقف كان نتاجا ليأس الخديو وجماعته بعد تخلى فرنسا عن القضية المصرية بعد حادث فاشودة ٠

٢ ــ ان اتجاه هذه الجماعة الى مهادنة الانجليز كان موقفا مرحليا يمكن أن يتغير فى حالة ظهور فرصة لتحقيق الجلاء بمساعدة احدى الدول الأوربية وقد أوضحت المؤيد ذلك بقولها : « ان الجلاء مطلب المؤيد الأول وأن رأس مال الوطن هو الاستقلال ، وهو ان طالب به فى ظروف وسكت عنه فى أخرى فانه ضالته على كل حال ، ولكنه يطالب به كلما شام برق رجاء المعونة من دولة أو دول أو حدث من الحوادث يرى فيه الأمل ، ويسكت عنه كلما رأى أن الصياح به ضائع ومضيع لشىء من منافع البلاد والعباد من قوم لا تردهم قوة ان شاءوا عن العناد والاستبداد » ٠

٣ ــ عدم ايمان الخديو وجماعته بالجماهير والتمسك بخطة الاعتماد على الدول الأجنبية والتى تبنتها الحــركة الوطنية فى الفترة السابقة فى كفاحها ضد الاحتلال ، فى حين اتجه مصطفى كامل وأنصاره (الحزب الوطنى فيما بعد) الى التعبئة الجماهيرية رغم اعلانه المستمر بتمسكه بالكفاح السلمى ضد الاحتلال ورفضه لأسلوب الثورة والكفاح المسلح ٠

وقد اتجه على يوسف من لندن الى باريس ، بهدف متابعــة المفاوضات التى كانت تجرى فى ذلك الوقت بين فرنسا وانجلترا حيث يؤكد كرومر أن « المفاوضات التى انتهت بتوقيع الاتفاق الودى قد بدأت فى صيف ١٩٠٣ » ٠

وقد اقام فرانسوا دولنكل النائب الفرنسى حفلا لتكريم على يوسف الذى ألقى خطبة نشرتها المؤيد اكد فيها أن فرنسا تعلم أن كل اتفاق لا يكفل حل المسألة المصرية لمصالح أهلها يكون ناقصا أو يكون كلا اتفاق ، بل يمكنني أن أقول ان مسـألة مصر هـى أول مسألة تعرض على أنظار المحكمين من الفريقين ، وفرنسا لا ترضى بحل لها غير ما يكفل الجلاء عنها وجعلها حرة لأهلها ، وانه اذا صح ان فرنسا ستعمل عملا يخلص مصر من احتلالهـا الأجنبى كما بشرنى بذلك جناب الرئيس — يقصد فرانسوا دولنكل — فان ذلك يكون أعظم نعمة تمنحها فرنسا لمصر •

وتحت تأثير الوهم بأن فرنسا ستطالب انجلترا بالجلاء عن مصر خلال المفاوضات الجارية بينهما فى ذلك الوقت ، اخذت المؤيد تبشر بقرب جلاء الانجليز عن مصر ، وقام على يوسف باجراء عدة احاديث صحفية مع بعض النواب الفرنسيين ومع حاكم الجزائـر الفرنسى ، الذين حرصوا على نفى ما تردده الجرائد الانجليزية من أن هدف فرنسا من المفاوضات هو مقايضة مصر بمراكش ، وقـد علق على يوسف على نفى النواب الفرنسيين لهذه الاشاعات بـأن فرنسا لو فعلت ما تتهم به الآن ، ورضيت بمقايضة مصر بمراكش ، فانها تكون قد جلبت على نفسها أخطارا تتهدد وظيفتها فى غـرب افريقيا من جنوبها الى شمالها ، ثم تكون فضلا عن ذلك مخادعـة لمصر ، وناقضة معها عهـد الوفـاء فتسقط كرامتهـا فى العالم الاسلامى •

لكن هذه المفاوضات انتهت بتوقيع الاتفاق الودى فى ٨ أبريل ١٩٠٤ وبمقتضى هذا الاتفاق أعلنت انجلترا انهـا لا تنوى تغيير الوضع السياسي لمصر ، وفي المقابل أعلنت فرنسا أنها لن تعوق

عمل بريطانيا فى مصر بمطالبتها بتحديد موعد للجلاء عنها ، وبذلك اصبح الاحتلال الانجليزى لمصر معترفا به من قبل الدول الأوربية ٠

وكان هذا الاتفاق صدمة جديدة للحركة الوطنية ، وقد اتضح ذلك من معالجة المؤيد لاتفاق ١٩٠٤ حيث اقتصرت في البداية على عرض أخبار الاتفاق دون تعليق ، ولم تعلق على الاتفاق الا بعد اسبوعين من توقيعه ، حيث أكدت أن هذا الاتفاق أفقد مصر أملها فى الاستقلال السياسى ، وأنه أعطى المحتلين حق التصرف المطلق فى ادارة البلاد ، ولم يبق أمامنا سبيل سوى أن نرفع صوتنا من أجل الحصول على مجلس نيابى حتى نتعزى بشىء من الاستقلال الادارى الذى ندركه به عن الاستقلال السياسى الذى خيبت أوروبا فيه أملنا الآن ٠

وقد أعلنت المؤيد بذلك عن يأسها من تحقيق جلاء الانجليز عن مصر بسبب تخلى أوروبا عن القضية المصرية ، وتوجيه كفاحها الى الحصول على الدستور يهدف تحقيق الاستقلال السياسى ٠

وقد اختفت حملات المؤيد على الاحتلال تماما فى الفترة التى أعقبت عقد الاتفاق الودى حتى حادثة طابا عام ١٩٠٦ ، كما أخذت تتوجه للورد كرومر مطالبة اياه بتحقيق بعض المطالب الصغيرة مثل وضع حد لاستخدام صغار الانجليز فى مصر حتى لايكثر الملح فى الطعام فلا يكون بعد ذلك صالحا للغذاء ، خصوصا أن الملح الانجليزى شديد التأثير فيحدث منه ان كثر فى معدة الحكومة المصرية مايحتاج بعده لعلاج أمهر الأطباء وقد لا يفيد ٠

واستمرت المؤيد فى متابعة هذا الموضوع مطالبة بوضع شروط يتم على أساسها استخدام الأوربيين فى مصالح الحكومة ،

ووضع حد نهائى فى كل مصلحة حكومية للعدد الذى يجوز أن يدخلها من الأوربيين ، وأن يحدد فى ميزانية مصروفات الحكومة حد أعلى للمرتبات التى يتقاضاها الموظفون الأوربيون فى المصالح المصرية ٠

وقد رد على يوسف فى مقالة افتتاحيـــة لجريدة المؤيد على استفسار لأحد القراء قال فيه : «ان مصر سعيدة بالاحتلال الانجليزى ولكن كما يسعد المسجون بحسن معاملة سجانه له ، وشقية كما يشقى السجين بحرمانه من حريته اذ السجن كما يقول العامة سجن ولو فى أكناف بستان ، ولكننا نعترف هنا أن سجان هذا السجين يحسن معاملته كثيرا ، وأن المصريين نالوا على يدى الاحتلال فى العشرين سنة الماضية ما كان يعز نيله عليهم فى ضعف ذلك الزمان ، حيث تخلصت المالية المصرية من قيود كثيرة بفضل الاحتلال البريطانى ولكن مصر ليست محتاجة الآن الى احتلال عسكرى ، والجلاء ممكن ان ارادته بريطانيا العظمى وتركت مصر صديقة وحليفة لها ٠

وقد اعتبر محمد عبد الوهاب سيد احمد ان هذا المقال دليل على اتجاه على يوسف والمؤيد « الى الانضواء تحت لواء الاحتلال » لكننا نرى أن هذا الموقف كان موقف مهادنة أكثر منه موقف تعاون مع الاحتلال ، وأنه كان انعكاسا لأوضـــاع الســياسة الدولية ، والصـــدمة التى أصـــيبت بهـا الحركة الوطنية بعد الاتفـــاق الودى عام ١٩٠٤ ٠

وكانت تبعية المؤيد الكاملة لعباس هى السبب فى اضطراب وتذبذب موقفها من الاحتلال البريطانى ، وقد عادت خلال عـــام ١٩٠٤ الى تأكيد أهمية اقامة علاقات ودية بين الخديو عباس وجلالة ملك الانجليز ، وأن ذلك سوف يعود بالفوائد الجمـة على مصـر والمصريين وذلك بمناسبة زيارة عباس للندن فى صيف ١٩٠٤ ٠

وقد نشرت المؤيد خلال هذا العام عددا من المقالات بعنوان « مستقبل المصرى » أكدت فيها على أن « الاستقلال هو روح الحياة الحقة ومناط الرقى الأسمى وعليه مدار المستقبل لأن الأمة التى تسلب استقلالها لاترجى لها الحياة البتة ولكن لم يقم فى المصريين ولا فى غيرهم من يقول ان مصر تستطيع أن تسترد استقلالها بغير واسطة دولة أخرى ، وأنه يوجد فى مصر من الحقوق والمصالح مايحتمل معه أن يقيض الله لها من يرفع عنها نير العبودية ، وأن الاستقلال نتيجة لابد لها من المقدمات ، أو هو مطلب يعترض طالبه أشق العقبات ، وما عسى أن تكون هذه المقدمات سوى التشبع من علوم الحياة ، واعداد المعدات الكافية لتذليل تلك العقبات اذ كيف نصل الى هاتيك النتيجة مع ضعف الشعور فينا ، وقلة أسباب الحصول على حقوقنا المهضومة بل جهلنا بأقوم السبل المؤدية اليها ، ان هذا لمن المستحيلات ، وان الرجاء معقود بهذه النهضة الأدبية التى نرى آثارها فى البلاد ونعدها من بشائر الخير والفلاح ، ثم بتلك الحوادث التى ستظهر لنا من ثنايا المستقبل والأشياء مرهونة بأوقاتها ، وأن المصرى يرقى ويقوى بحكم الظروف العصرية فى زمن غير بعيد الى الحد الذى يؤهله للاستقلال غير أن من العبث أن نبحث من الساعة فى هذه الظروف عن أثر الحوادث التى يستقل بسببها .

وقد سادت نغمة اليأس من تحقيق الجلاء مقالات المؤيد خلال عام ١٩٠٥ أيضا حيث قامت بنشر المقدمة التى كتبها الدون جورست لكتاب لورد ملنر « انجلترا فى مصر » وقد علقت على بعض فقراتها عاكسة أثر الاتفاق الودى على هذا الموقف حيث قالت : ان سلطة الانجليز كانت مقيدة فأصبحت مطلقة ، وكانت قوامتهم على المصالح

المصرية غير شرعية فأصبحت شرعية باعتراف الدول ، وانقطعت بذلك العلاقة السياسـية التى كانت بين الدول ومصـر ، وخـلا وجه الانجليز للمصريين فكان على هؤلاء أن يعرفوا هذه النتيجـة وأن الواجبات أصبحت متبـادلة بين الفريقين فى أعمال اداريـة محضـة ٠

وقد أعلنت المؤيد اعترافها بأن الانجليز أرقى وأعلم بينابيع الحياة وأركان المدنية والنظام من المصريين ، وأن الاحتلال قيـم شرعى على مصالح مصر ان لم يكن بحكم الحق فبحكم القـوة ، والقوة تحترم فى صولتها كالحق فى دولته ، ولكن لا يستلزم أن يكون الاحتلال قيما شرعيا أو شبه شرعى أن يكون كل انجليزى فى مصلحة من المصالح قيما على كل مصرى فيها سلطة وكفاءة ٠

كما علقت المؤيد على تقرير لورد كرومر لعام ١٩٠٤ تعليقا يعكس اعترافها بالأمر الواقع حيث ان اللورد كرومر قد صرح برأيه النهائى فى مسألة الجلاء ، وهى أول مرة قال فيها كلمته بالاحتلال الدائم على رؤوس الأشهاد ولولا الاتفاق الانجليزى الفرنسى ما جاء هذا التصريح ٠

ورغم ذلك فقد وجهت المؤيد الشكر للورد كرومر على شرف عواطفه نحو المسلمين « لأنه حث المسلمين فى تقريره على التعليم ، استنهض هممهم الى مسابقة غيرهم فى مجال التعليم حفظا لمركزهم فى الهيئة الاجتماعية ٠

وزادت المؤيد من اشادتها باللورد كرومر بشكل مباشر حيث انها لا تستطيع أن تبخسه حقه من الثناء الجميل على عنايته الفائقة باصلاح الشئون العامة ، وانكبابه على العمل لارشاد الأمة المصرية

الى ماهو خير لها ، ولا نشك فى أن هذا الرجل العظيم انما يعمل باخلاص ونية صادقة ، وأنه معتدل محب للخير لا يتحيز لدين أو مذهب ، ولا يصادر أمة فى شعائرها الدينية اذا لم نقل انه أصبح كثير الميل الى التمسك بالدين ، لاعتقاده أن التمسك بالدين يلجم صاحبه عن قول السوء واثارة الفتن ، ووصفت لورد كرومر بأنه رجل الاصلاح المنزه عن اضطهاد الأديان وهذه أول مرة تمتدح فيها المؤيد لورد كرومر بهذه الطريقة التى وصلت الى حد محاولة اثارة المشاعر الدينية للمسلمين لتأييد اللورد كرومر ، ويمكن تفسير ذلك بأن الخديو عباس قد اضطر الى الخضوع الكامل للاحتلال بعد عقد الاتفاق الودى ، وبالتالى اتجه الى محاولة استرضاء كرومر ، وقد قطع مصطفى كامل قبل ذلك علاقاته مع الخديو عباس ، الأمر الذى زاد من خضوع عباس وأنصاره للاحتلال ، ونتيجة تبعيــة المؤيد الكاملة للخديو فقد اتجهت الى تأييد هذا الموقف وامتداح اللورد كرومر حتى وصل الأمر الى استخدام المشاعر الدينية لصالح المعتمد البريطانى ٠

وقد شهد هذا العام زيارة الخديو عباس للندن ، وكتبت المؤيد تعليقا على ذلك « انه يسر المصريين أن تزداد علاقات المودة والصلات الحسنة توكيدا وتوثيقا بين الجناب العالى وجلالة ملك انجلترا صاحب الاحتلال فى القطر المصرى ، وشريك الملكية فى السودان من جهة أخرى لأن صالح مصر أصبح مرتبطا ارتباطا كليا بدوام حسن التفاهم والتواد معه ٠

وعادت المؤيد الى التأكيد على ضرورة تحسين العلاقات دائما بين سراى عابدين وسراى باكينجهام لأنه مادام فى مصر احتلال انجليزى ، والاحتلال يقتضى المشاركة والأخذ والعطاء فى أعمال

مصر وشئون ادارتها ، فأحرى بهذه العلاقات أن تكون حسنة ، وكلما ازدادت حسنا وتأكدت المودة بين ولى الأمـر فى وادى النيـل ومستشاريه من الانجليز جنت مصر من ذلك الفوائد الجمة ·

كما هاجمت مصطفى كامل وأنصاره حيث قالت « ان بعض الحمقى ممن يتحمسون فى الأقوال ، ويزعمون أن صدق الوطنية ينحصر فى معارضة الاحتلال صـوابا كانت المعارضـة أو خطأ يقولون : ان محاسنة الضعيف للقوى ذاهبة بحقوق الضعيف دائما يريدون بذلك أن يغيروا ويمسخوا أحكام التجارب ونتائـج العقل الصحيح من أن للشدة موضعا وللين موضعا ، وفى حديث أخذت باللين ما لم آخذ بالعنف خير منهج للمستبصرين » ·

وبذلك أعلنت المؤيد أن الثمن الذى يريده الخديو وجماعته هو الحصول على نصيب من حكم مصر ، ودعت الى التخلى عن طلب الجلاء لأن الاشتغال وراء الخيال عبث ومحال ، ولننظر للحالة التى نحن عليهـا ، وما ينبغى أن نعمل لحفظ شىء من قوامنا ، وكل مانستطيع أن ندركه لمستقبلنا ، فنتفاهم مع الانجليز فيمـا يعود التفاهم فيه علينا بالفائدة ·

وبالتالى فقد أعلن الخديويون وعلى رأسـهم على يوسـف موقفهم ، وأن الطريق الوحيد أمامهم بعد الاتفاق الودى هو التعاون مع الاحتلال على أساس تقوية سلطة الخديو وحصول مصر على الاستقلال الأدارى ·

لكن هذا الموقف لم يستمر طويلا ففى بداية عام ١٩٠٦ حدثت أزمة طابا عندما احتلت قوة تركية منطقة طابا وبعض المناطـق الأخرى على رأس خليج السويس ، وقد تطور ذلك الى أزمة خطيرة

بين تركيا وبريطانيا امتدت من ١٠ يناير الى ١٤ مايـــو ١٩٠٦. وبلغت تلك الأزمة قمتها عندما وجهت بريطانيا الى تركيا فى ٣ مايو انذارا مدته عشرة أيام لتعيين مندوبيها فى لجنة تركية مصــرية لتخطيط حدود سيناء على أساس خط مستقيم يمتد من رفح حتى راس خليج العقبة ، ثم تجمع الأسطول الانجليزى قريبا من الميـاه التركية فى حركة تهديد واستعداد لاحتلال بعض الجزر التركية بعد انقضاء المهلة المحددة ، وقد حاول السلطان أن ينتهز فرصة الأزمة للضغط على بريطانيا للوصول الى حل للمسألة المصرية ٠

ولعب عباس دورا مزدوجا خلال الأزمة فبينماساير الاحتلال فى الظاهر وقف سرا بجانب السلطان ، وقد حصل الانجليز على صور البرقيات المتبادلة بين الخديو والأستانة ، وكانت كلها ضدهم مع أن الخديو كان يظهر عكس ذلك معهم ، فلما اطلع عليها ملك انجلترا قال كنت أظن أن الخديو معنا ، ولكنا أصبحنا نعرف أنه يظهر لنا غير ما يضمر لذلك فلم نعد نثق به ٠

وتابعت المؤيد موقف الخديو غير المعلن خلال الأزمة فى تأييد تركيا ، ومعارضة بريطانيا ، فقد قللت من أهمية طابا ، وأفسحت صدرها لشرح وجهة النظر التركية ، وبذرت الشكوك حول حق مصر فى طابا ، وأنكرت على بريطانيا تدخلها فى المشكلة ٠

وقد تطابق موقف المؤيد مع موقف اللواء خلال الأزمة ، ويشير السدى الى أن ذلك كان بناء على اتفاق بين مصطفى كامل وعلى يوسف على معارضة دور حماية مصالح مصـــر الذى اتخذتـه بريطانيا خلال الأزمة ، ذلك الدور الذى يمس سيادة تركيـا على مصر ، وقد خشيا أن يكون خطوة أولى لتحدى تلك الســيادة ، واعلان الحماية البريطانية على مصر ، كما أنهما ارتابا فى نوايا بريطانيا فى شبه جزيرة سيناء ٠

وقد كتبت المؤيد عددا من المقالات بعنوان كيف يزداد حب الدول العلية في مصر وكيف ينمو بغض الانجليز ، هاجمت فيها موقف الانجليز خلال الأزمة ، وأيدت تركيا باعتبارها صاحبة السيادة على مصر ٠

وتعتبر حادثة طابا نقطة البدء في الصراع الذى استؤنف بين الخديو وكرومر والذى انتهى باستقالة كرومر عام ١٩٠٧ ، كما أعادت هذه الأزمة العلاقات الودية بين الخديو ومصطفى كامل اللذين اتفقا فى خريف ١٩٠٦ - حسب رواية محمد فريد - على تأسيس الحزب الوطنى وانشاء جريدتى الاستندارد الانجليزية والاتندار الفرنسية ٠

وقد عزا كرومر موقف المصريين فى هذه الأزمة الى التعصب الدينى ، وألقى اللوم على الخديو الذى كان فى رأيه يثير روح التعصب منذ ولى منصبه ويشجع العناصر الداعية الى الجامعة الاسلامية ، ولكن لم يكن العطف على تركيا خلال أزمة طابا يعود الى التعصب الدينى - كما يرى كرومر - بل يعود الى شعور العداء نحو الاحتلال وسياسته فى مصر ، وتعبيرا عن الرغبة فى الجلاء مهما كانت التضحيات ٠

ورغم انسحاب تركيا وفشلها فى تحقيق ما كان يطمح اليه الوطنيون فى أن تؤدى هذه الأزمة الى التوصل الى حل للقضية المصرية وتحقيق الجلاء عن مصر ، فان التعاون بين الوطنيين أو بمعنى آخر بين جماعة الخديو والحزب الوطنى قد استمر بعد ذلك خلال حادثة دنشواى التى استغلتها الحركة الوطنية لاسقاط كرومر ٠

حادثة دنشواى :

يشير لورد لويد الى أن الخديو عباس قد بذل نشاطا كبيرا فى مساندة الحملة ضد الاحتلال البريطانى أثناء حادثة دنشواى ، بل يؤكد أيضا أن حادثة دنشواى قد أدت الى أن ينسى الأقباط والمسلمون خلافاتهم ، واستطاع مصطفى كامل أن يحقق وحدة وطنية من أجل تهديد الاحتلال البريطانى ٠

وقد برز تحالف الوطنيين واضحا اثناء الأزمة من خلال معالجة المؤيد واللواء للحادثة ٠

وقد اقتصرت المؤيد فى بداية الأمر على عرض الأنباء فقط ، ونشرت بلاغ نظارة الداخلية ، وتوقفت عن تحديد المسئولية فى حادثة قتل الضابط وكسر ذراع الثانى حتى تقف على التفاصيل ، ورأت أنه كان يجب على الأهالى الوقوف عند حد طلب الكف عن اطلاق النيران من الضباط ، والا يتضاربوا معهم ، وأن يستنجدوا الحكومة فى أمرهم ٠

ولكن المؤيد زادت من حدة هجومها على الاحتلال البريطانى حيث اشارت الى قيام سلطات الانجليز بتجربة المشنقة فى مخازن البوليس ببولاق قبل انتهاء التحقيق ، وشاركت المؤيد فى الحملة على الاحكام القاسية التى أصدرتها المحكمة المخصوصة « فقد نشرت المؤيد ٢٣ مقالا فى ٢٣ عددا متوالية تندد فيها بقسوة أحكام دنشواى وقد قدمت المؤيد لهذه المقالات بكلمة للمستر بلنت قال فيها : لا مبالغة فى أنه بمقتضى قانون ١٨٩٥ قد يحكم على المصرى بالموت خوزقة أو صلبا اذا ضرب الجندى الانجليزى منعا له من انتهاك حرمة زوجته ٠

كما أكدت المؤيد ان ارهاب قرية دنشواى كان ارهابا مقصودا لحماية الجيش الانجليزى ، وأنهم بذلك يريدون أن يكون الجندى الانجليزى فى مصر الها يسجد له الفـــلاح ، ويريدون أن يكون المصرى من عابدى الأصنام ، وذلك لأن العساكر الانجليزية فى مصر يجهلون لغتها وأخلاق قومها ، ثم يطوفون البـــلاد بكـــل ما فى السكسونى من الغطرسة والكبرياء ، ويعتبرون البـــلاد ميدانـــا لملاهيهم ومزرعات الفلاحين مجالا لقضاء ساعات الفراغ ، وهنـــاك درع الموت بحكم المحكمة المخصوصة يقيهم من كل معارضة ويغنيهم عن كل دفاع ، والدفاع عن الذات والمال والعرض صفة من صفات المصرى ، كما هو حق من حقوق البشر ، فهل يستطيع المصرى تجاه حكم دنشواى أن يدافع بعد ذلك عن حق ؟ .

وأكدت المؤيد أن الرهبة القاهرة لاتربى أمة ولا تعلمها العمل بالقوانين واحترامها ، ان الرهبة اما أن تذل فتميت النفوس ، أو تغرس الأحقاد فتوقظها دائما للفتنة ، وكلاهما لا يصلح أن يكـــون مراد حكومة عاقلة مصلحة .

وانطلقت المؤيد من هذه الحادثة الى مهاجمـــة الاحتـــلال البريطانى واستبداده فى دنشواى تلك الحادثة التى لاتفيد أعادة ذكرها الا ايلام الجروح التى أصيبت بها كل القلوب ، ويحق لنـــا أن ننكأ تلك الجروح لئلا تتمرن القلوب على عدم الحس،وأن الاحتلال هو داء مصر ، واذا ظل هذا الاحتلال يحكم مصر فان بلاءها عظيم وسوف تنفذ فيها أحكام كثيرة مثل حكم دنشواى .

كما حرصت المؤيد على نفى تهمة التعصب الدينى عن المصريين وهى الحجة التى طرحها وزير الخارجية البريطانى على البرلـــان الانجليزى حيث قالت : ان اللورد كرومر كان يخاف كثيرا ان يشتغل

البرلمان بالبحث والجدل فى هذه الحادثة ، ولذلك اهتم باسكاته وجاءه من الطريق المخيف طريق الجنة والغيلان التى يخوف بها عادة الجاهلون ، وأعضاء البرلمان جاهلون بعادات مصر وأخلاق أهلها ، فجاءهم من هذا الطريق وقال لهم ان التعصب الدينى ثائر فى نفوس المصريين ٠

ونحن نكذب كل التكذيب دعوى التعصب الدينى فى مصر ، ولكن اللورد كرومر الحاكم المطلق فى مصر لا يريد أن يشتغل البرلمان بمسائل مصر وحوادثها ، فيفقد الاستقلال الذى له ، وبعد هذا يجب أن يعرف المصريون أن لا ضمانة لهم غير أن يحكموا البرلمان بينهم وبين القابضين على أزمتهم من الانجليز ، وهو لا يمكن أن يكون حكما قادرا الا حيث يعرف الحقائق ، وهو لا يعرفها ما دام له مصدر علم واحد هو أولئك القابضون على أزمتنا ٠

وواصلت المؤيد دعوتها لايجاد صلات بين أعضاء البرلمان الانجليزى ومجموعة من المصريين تقوم بتعريفهم بالحقائق ، وقالت المؤيد : ان الأجدر بسراتنا الأغنياء الذين يمثلون الطبقة العالية فى البلاد أن يفكروا فى ايجاد هذه الصلة ٠

كما استمرت فى حملتها الصحفية التى تهدف الى نفى تهمة التعصب الدينى عن المصريين وبالتالى رفض الحجج التى ساقها الاحتلال لتبرير قسوة الأحكام فى دنشواى حيث أكدت أنه اذا كان هناك تعصب فانه تعصب للحمام لا للدين ٠

وتوضح معالجة المؤيد لحادثة دنشواى أن التحالف بين الخديويين والحزب الوطنى الذى بدأ خلال أزمة طابا قد استمر أيضا خلال حادثة دنشواى ، ونتيجة لذلك فقد دافعت المؤيد

عن مصطفى كامل ضد جريدة الطان الفرنسية التى اتهمته بأنه لايعمل لمصلحة مصر ، وانما يعمل لمصلحة تركيا حيث قالت المؤيد : ان صاحب اللواء يخدم وطنه بلهجة حادة لا احتياط فيها ، ولكن ليس فى خطته خطر ما على البلاد ، وان هذه الكتابات التى تظهر الآن فى الجرائد الفرنساوية بشأن صاحب اللواء لابد أن يكون موعزا بها من مصادر انجليزية بقصد التمهيد لعمل خصوصى يتعلق بصاحب اللواء ، وهى سياسة خداعية لا تليق بشرف انجلترا وعظمتها ٠

كما أبرزت المؤيد سبب هذا التحالف وهو أن كل شىء من عمل المحتلين فى مصر يرمى الى غاية واحدة هى تحويل مصر العثمانية سيادة ، والمستقلة ادارة الى مستعمرة انجليزية ، ومن مظاهر ذلك السير الحثيث المستمر فى اضعاف سلطة الخديو ٠

وبالتالى يمكن تفسير تحالف الوطنيين والخديويين منذ بداية حادثة طابا حتى رحيل اللورد كرومر عن مصر بأن الخديو قد فشل فى محاولاته التى بذلها فيما بعد الاتفاق الودى ، حتى أواخر عام ١٩٠٥ للحصول على نصيب من حكم مصر ، وبالتالى فقد اتجه مرة أخرى الى اعادة العلاقات مع مصطفى كامل والحزب الوطنى مما أدى الى توحد موقف الخديويين والوطنيين خلال حادثتى طابا ودنشواى ، حتى اسقاط لورد كرومر ، وقد انعكس ذلك على جريدة المؤيد التى اتجهت خلال عام ١٩٠٦ الى مهاجمة الاحتلال وان لم تصل الى درجة اللواء ٠

ويمكن القول : ان تبعية المؤيد الكاملة للخديو هى السبب فى اضطراب وتذبذب مواقفها من الاحتلال خلال الفترة السابقة ١٩٠٠ ــ ١٩٠٧ ما بين تأييد الاحتلال وامتداح كرومر والاشادة به

بمحاولة استخدام مشاعر المسلمين الدينية لتأييده بوصفه الرجل المنزه عن اضطهاد الاديان ، ومهاجمة الاحتلال خلال عام ١٩٠٦ ، هذا بالاضافة الى تمسكها بخطة الاعتماد على الدول الأجنبية لذلك فهى تهادن الاحتلال فى حالة يأسها من الحصول على أى مساعدة من فرنسا وتهاجمه بعنف عندما تظهر بادرة أمـــل فى أن يؤدى احتلال تركيا لطابا الى ايجاد حل للمسألة المصرية ٠

***

المبحث الثالث

موقف المؤيد من الاحتلال

١٩٠٧ ـ ١٩١٥

أدى تحالف الوطنيين والخديويين خلال عام ١٩٠٦ الى استقالة كرومر فى ٤ أبريل ١٩٠٧ ، وتعيين السير الدون جورست الذى جاء بسياسة جديدة عرفت بسياسة الوفاق وكان هدفه عن هذه السياسة ـ كما يقول مارلو ـ هو تفتيت القوى الداخلية المعادية للاحتلال ، التى تجمعت خلال عام ١٩٠٦ ، وبذلك تعتبر سياسته نموذجا كلاسيكيا لسياسة فرق تسد ، وقد استطاع جورست بالفعل أن يحقق هدفه فى فصل الخديو وجماعته عن الوطنيين ، وذلك باعطائه قدرا كبيرا من الحرية فى اختيار الوزراء ، وتصريف أمور الحكم مما أدى الى زيادة سلطة الخديو فى تصريف الشئون العامة عما كان عليه الحال أيام كرومر ، كما أن جورست تركه يزاول حقه فى منح الرتب والنياشين ، وبذلك اجتذبه تماما الى جانبه وحصل على تعاونه الكامل مع سلطات الاحتلال ٠

وقد اثار تحول الخديو عن الحركة الوطنية ، وتعاونه مع الاحتلال ، بعد تعيين جورست ، الشك فى حقيقة نوايا الخديو واهدافه وهل كان يستخدم الحركة الوطنية كوسيلة لتأييده ازاء طغيان المعتمد البريطانى ؟ .

وقد قام الخديو عباس كنتيجة لسياسة الوفاق بتكوين حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية للدفاع عن هذه السياسة .

وقد تابعت المؤيد موقف الخديو حيث بدأت حملاتها ضد الاحتلال ، ومعارضتها له تختفى تدريجيا مرة اخرى ، كما اتجهت الى اتهام مصطفى كامل والحزب الوطنى بالتطرف ، واعترضت على صيغة الخطاب الذى وجهه مصطفى كامل الى رئيس وزراء بريطانيا حيث قالت : انه لم يكن من الحكمة ولا من مصلحة الوطن الذى نخدمه باخلاص أن نهدد انجلترا فى معرض تذكيرها بوعودها السابقة ، ولذلك نحن لا نوافق صاحب اللواء على قوله فى كتابه لرئيس وزراء انجلترا : ان استقلال مصر سيكون بلا محالة ، فيجب على انجلترا وحدها أن تختار لنفسها صداقة مصر أو عداوتها ، فان هذا التهديد لا ينبغى أن يوجه من مصرى الى رئيس وزراء انجلترا .

وأخذت المؤيد تقارن بين موقفها من الاحتلال وموقف مصطفى كامل وجريدة اللواء حيث قالت : اننا وصاحب جريدة اللواء متفقون على أن انجلترا قد احتلت مصر الى هذا الوقت بلا حق يخولها اياه ، ولولا أن قوتها فوق قوة مصر ، أو فوق قوة العدالة السائدة على مصر لما دام الاحتلال الانجليزى فى مصر الى الآن ، ولما استطاع معتمد الدولة الانجليزية السابق فى مصر أن يجهر فى خطبة وداعه بأن الاحتلال باق الى ماشاء الله ، ونحن متفقون أيضا

على أن الاحتلال قد ساد على مصر بقوة الاستبداد ، وأن رجالـه قد بذلوا كل ما فى وسعهم حتى الآن لاعدام كفـاءة المصـريين ، واستعدادهم لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وأنهـم عاملون على الدوام لهذه الغاية حتى تفقد الأمة المصرية وجودها السياسى بالمرة طبقا للغاية التى كان يسعى وراءها اللورد كرومر من قبل ·

وقالت المؤيد : انا متفقون معا على كثير من المطالب ولكننا مختلفون فى طريقة العمل وأسلوب الطلب ، فهو يعمل ويطلب على الأسلوب الذى جرى عليـه فى كتـابه الأخير الى رئيس الوزراء الانجليزى حدة وحماسة وتهديدا ووعيدا ، ونحن نرى من الواجب علينا أن نحسن طريقة الطلب وأن نعمل بالروية والتعقل مع التأدب والاعتدال ·

وهكذا أوضحت المؤيد أن الخـلاف بين جماعـة الخديو والوطنيين لم يكن فى طلب الجلاء ، ولكن فى الوسيلة المتبعة فى تحقيق الجلاء ·

وقد استقبلت المؤيد السير الدون جورست بمطالبته بأن يعامل المصريين « كأمة فى وطن لا كفلاحين وقطيع من الماشية فى مزرعة » ·

وكانت احدى الوسائل المهمـة التى اتبعها جورسـت عند وصوله الى مصر السماح للخديو عباس باصدار عفو عـام عن مسجونى دنشواى بمناسبة عيد ميلاده ، وقد هللـت المؤيد لذلك وقالت : ان المصريين يتلقون هذا النبأ بسرور بالغ لا يقل عن سرور ذوى المسجونين وأهلهم ، ويكون مخففا للآلام التى تألم بها كل ذى احساس من جراء ذلك الحادث المشئوم ·

وتجسيدا لسياسة الوفاق زار الخديو لندن فى صيف عـام ١٩٠٨ ، وقد علقت جريدة الديلى تليجراف الانجليزية على هـذه

الزيارة بمهاجمة الحركة الوطنية المصرية ، واتهمتهـــا بالتطرف ، وحذرت الخديو منها حيث انه اذا فاز المتطرفون فانهمسوفيصدرون الأوامر الى الخديو ، وان الخديو مرتبط بالاحتلال وأنه فى اليوم الذى يذهب فيه الاحتلال تسقط الأريكة الخديوية عليها ، وقد ردت المؤيد على جريدة الديلى تلجـــراف بأن الانجليز واقفون بـازاء النهضة الوطنية الحاضرة وقفة المرتاب الحذر الذى يحاول أن يقضى عليها ، ولكنه لايجد حيلة لذلك سوى استرضاء الخديو حتى يكون فى صفه لتكون فى جانبه قوة السلطة الشرعية ، فلا يهمه بعد ذلك صياح صائح أو حماسة متحمس ، ولا برهان معقول ٠

وقد عكست المؤيد بذلك ادراكها لنوايا الانجليز ، ومحاولاتهم استرضاء الخديو واستخدامه فى ضرب الحركة الوطنية ، لكنها بدلا من أن تحذر الخديو من عواقب سياسة الوفاق مع الانجليز ، اتجهت الى تحذير الحركة الوطنية ومطالبتها باستعمال العقل والبصيرة ٠

ونفت المؤيد أن يكون هناك ارتباط أو تلازم بين وجود الاحتلال وبقاء الاحتلال وبقاء الخديو على عرشه بل ان هناك ارتباطا بين خديو مصر والجـلاء لا بينه وبين الاحتـــلال ، وأن كل احتــلال أجنبى انما هو ضد حقوق ومصلحة الحاكم الشرعى للبلاد ، كما أنه ضد حقوق ومصلحة البلاد نفسها ، وليس فى الدنيا من يقول ان اغتصاب سلطة ملك على مملكته ضمانة لبقائه ان مس الاغتصاب هدم عرش الملك ٠

وقالت المؤيد : فليعلم الانجليز أنه كلما ضعف الارتباط بين الخديو والاحتلال قوى ذلك الارتباط بين الأمـــة والأمير والعكس بالعكس فاذا نادوا اليوم بذلك الترابط بين الخديوية والاحتلال ، فانما هم يريدون بالخديوية السوء لأن الأمة لاتفهم من هذا الترابط

الدائم بناء على ذلك الزعم الا أنها متهمة فى الولاء لمليكها الشرعى فضلا عن أن هذا الاتهام يثبت قواعد الاحتلال على الدوام ، وهو ضد مصلحتهم وضد مصلحة ذلك الأمير معا نعم اننا نريد أن تكون العلاقات حسنة بين خديوينا المعظم وجلالة ملك الانجليز ، ثم بينه وبين معتمد جلالته ، ولكن لأجل أن يؤدى حسن العلاقات الى تقصير أجل الاحتلال ، فلا ينبغى أن يتخذ أنصار الاستعمار تجدد حسن العلاقات أحبولة جديدة لكيد المكائد ضد المصريين ليقولوا لمليكهم أن مصالح الخديوية المصرية متضامنة مع بقاء الاحتلال فى البـلاد ٠

ولكن رغم حقيقة ادراك المؤيد لنوايا الانجليز ، ورغبتهم فى استغلال الخديو لضرب الحركة الوطنية ، وأنه كلما زاد الارتباط بين الخديو والاحتلال ضعف الارتباط بينه وبين الأمة فانها قـــد اتجهت الى تأييد سياسة الوفاق بكل قوة ، خاصة عندما ســـمح الانجليز للخديو باقالة وزارة مصطفى فهمى ، وتعيين وزارة جديدة برئاسة بطرس غالى ٠

ورغم الحقيقــة التاريخية المؤكدة ، التى عبر عنها أحــــد كتاب الانجليز ، وهى أن بطرس غالى قد رشحه جورست فـــان المؤيد قد أبرزت هذا الحدث باعتبار أن تعيين الوزارة الجديدة كان بمحض ارادة الخديو وأن المعتمد الانجليزى لم يكن له رأى فعـال فيها ، وأن سياسة الوفاق قد أخذ غراسها يثمر لخير البلاد ٠

كما ابرزت المؤيد خلال عام ١٩٠٩ نبأ زيادة جيش الاحتلال فى مصر ، وجعل مصر مركزا عسكريا لانجلترا ٠

لكنها بررت ذلك بأن الأوربيين يتهموننا فى هذه الأيام بالنزوع الى الثورة ، وأن الانجليز يؤيدون هذه التهمة باعلان زيادة جيش .

الاحتلال ، وجعله قوة متحركة لابوليسا كما كان أمره فى ربع القرن الماضى ، ولا ننسب لمصر فى كل هذا ، الا حركات صبيانية وألاعيب مسرحية يمثلها بعض رجال الأحزاب السياسية لأغراض دنيئة ٠

وقد حاولت المؤيد بذلك أن تلقى المسئولية فى زيادة جيش الاحتلال على الحزب الوطنى ، لكنها عادت الى مهاجمة الانجليز مؤكدة أن هذه الزيادة فى جيش الاحتلال تسىء الى سياسة الوفاق حيث قالت : ان الانجليز أساءوا لأنفسهم بهذه الزيادة وهذا التحويل ، فانهم فى الوقت الذى يتظاهرون فيه بسياسة تمرين المصريين على طريقة حكم أنفسهم بأنفسهم يحدثون فى جيش الاحتلال بمصر حدثا يسىء الظن بهم ، ويشوش على سياسة الوفاق النافعة لهم وللمصريين ما يلبسها ثوب النفاق والخداع ٠

ونتيجة لزيادة عدد جيش الاحتلال فى مصر طرح محمد فريد وجدى على صفحات المؤيد اقتراحا بعقد مؤتمر وطنى عام يجتمع اليه سراة المصريين وعلماؤهم ووجهاؤهم مجردين عن كل صبغة حزبية لأن الموضوع أعم من نقط الخلاف ، فيحرر لمجلس المبعوثين عريضة تمضى من جمهورهم ، وتدفع اليه ، والى سائر الدول بما فيها انجلترا بصفتها من أعضاء المحكمة الدولية العامة ، هذا مانراه من أوجب الواجبات على كل وطنى يغار على كرامته الاجتماعية فقد علمتم ما عزمت عليه انجلترا من اتخاذ مصر قاعدة لحركات جيشها الاستعمارى ، وهو تحويل سيخول انجلترا حجة جديدة على وجوب بقاء احتلالها لوادى النيل ، اذ لايعقل أنها بعدأن ترسم خطوط حركات جيشها ، وتعين نقط معسكراتها فتجعل مصر احدى تلك النقط بل أهمها أن تعود فتبطل هذه الرسوم بجلائها عن مصر يوما ما ٠

ولكن على يوسف رفض هذه الفكرة مبررا ذلك بأن أحوال الدولة العلية مازالت مضطربة فاذا قام المصريون بعمل عظيم يلجيء الدولة العلية الى تحديد مركزها فى مصر ، ومركز الاحتلال البريطانى فيها ، فلا تؤمن عاقبة ذلك على الاطلاق اذ الدولة العلية لا تزال فى حاجة ماسة الى استرضاء انجلترا ، والاشتداد بساعدها ، واتخاذها عضدا لها فيما يطرأ من الحوادث الدولية ، ودولة تلك حالها من أطوار التكون ، وهذا شأنها مع الدولة المحتلة لا يرجى منها فى مثل هذه الظروف الخصوصية عمل صالح لمصر فى أهم مسألة حيوية لها ٠

وقد ظلت المؤيد تؤكد على أهمية سياسة الوفاق بين الخديو والانجليز ، متخلية عن نقدها لتقرير السير جورست السنوى ، وطالبت جميع الجرائد أن تحذو حذوهـا فى التمهل فى الرد على ماجاء فى التقرير ، فان كان هناك من الوطنيين من يفضل الجفاء على حسن الوفاق فلهم دين ولنا دين ٠ كما أكدت أن ماتربحه مصر من سياسة الوفاق عظيم ، فبالثقة تعود رؤوس الأموال فتتزاحم على رجال مصر فيعود الرخاء لهذه البلاد ٠

وقد ردت المؤيد على هجوم مجلة « الأمبير » على سياسة السير جورست حيث قالت يظهر أن كاتب هذه المقالة موظف انجليزى فى احدى المصالح المصرية فقد سلطته الجبروتية ، فهو يبكى عليها ، ويزيف هذه السياسة بما يختلقه على المصريين من صفات العجز والفساد وعدم الكفاءة ، والخلاصة أن العهد الجديد لا يروق أكثر الانجليز الذين كانوا مسيطرين وقد قلت سيطرتهم ، وضعف جبروتهم فهم يبكون على عهد كرومر ، ولكن لماذا لا ينتظر هؤلاء ستا وعشرين سنة أخرى ليحكموا على نتيجة السياسة الجديدة ،

كما صبرنا نحن على السياسة القديمة ؟ اللهم انا لا نريد ولا نتمنى أن يطول عهد الاحتلال الى مثل هذا الأمد الطويل ، ولكنا نقول لمن يحكمون على نتائج السياسة الجديدة بعد سنتين انهم متسرعون وغير منصفين ·

ولذلك قالت المؤيد : ان الواجب علينا ـ حتى ان لم تكن راضين تمام الرضاء عن السير الدون جورست ـ أن نعضده ونخطىء أقوال ذلك الفريق المعارض له ، ونعمل بكل قوانا لنعلن فى مصر وفى انجلترا أن ما يظنه أولئك القوم افراطا فى تعضيد الحركة الوطنية ليس كافيا لارضائنا ، ولا هو بالجزء الكبير فى تقويم دعامة استقلال امتنا ، وان لا نجاح للمصرى ، ولاتوفيق بين المصريين والانجليز الا باعطاء مصر الدستور اللازم لاصلاح المختل وترقية الأمة المصرية فى سبيل الاستقلال الصحيح ·

واستمرت المؤيد فى الرد على من أسمتهم بخصوم الدون جورست من الانجليز مؤكدة أن سياسة كرومر الخرقاء قد غرست بذور الشقاق والغرور فى نفوس الموظفين الانجليز ، واذا كان يحق للانجليزى أن يقيم الغارة الشعواء ، ويندب حظ الانجليز فى مصر لأن مصريا واحدا يعترف الانجليز أنفسهم بكفاءته خلف انجليزيا فى وظيفته بمدرسة الطب المصرية ، فكم يحق للمصريين أن يندبوا وأن يلطموا الخدود اذا جالوا بأعينهم فى مصالح الحكومة المصرية وشاهدوا الانجليز بالعشرات والمئات قد احتلوا وظائف المصريين ، وقطعوا عليهم الطرق وأغلقوا الأبواب ·

وطالبت المؤيد المصريين بأن يعدوا أنفسهم لنزال فئة جشعة من الانجليز لا يهنأ لهم بال الا اذا انحصرت ادارة الحكومة وسلطتها

ونفوذها فى أيديهم وهى لذلك تطعن على المعتمد الانجليزى بما تراه لازما لنجاح حملتها ، وأن تقول عن سياسة الوفاق ما تقول ٠

كما وجهت المؤيد رجاءها الى السير الدون جورست بأن يصبر على حملات مخالفيه فى الوجهة السياسية لأننا نعتقده رجلا كبير النفس يفضل أن يكسب الحمد من أمة تحفظ الجميل على رضاء شرذمة كثيرة الطمع والجشع لكسب المال والجاه على حساب مصر الأسيفة ٠

أما عن مطلب الجلاء فقد ظلت المؤيد تؤكد على انها أول من يبغض الاحتلال الأجنبى ، وتلعن كل من يعمل عملا يفضى الى اطالة أمده ، أو يرضيه أن يبقى هذا الاحتلال ، وأن حب الوطن يقضى على كل وطنى بكراهية كل تداخل أجنبى فيه فكراهيته للاحتلال الأجنبى كراهية طبيعية وشرعية قضى بها ناموس الشرف وقانون الاجتماع والشريعة الالهية ، ولو استطعنا أن نفدى الوطن بالنفس والمال لما تأخرنا لحظة واحدة ، وملعون من يعمل لاطالة أجل الاحتلال طرفة عين ٠

لكنها استمرت أيضا فى التأكيد على أن الجلاء موقوف على اختيار الانجليز ورغبتهم ، لأنه لاتوجد قوة داخلية ترغمهم على الجلاء ، ولا نعرف دولة من الدول الأجنبية تتصدى لاخراج الانجليز من مصر بالقوة ولا الدولة العلية نفسها ، وما كان موقوفا على اختيار الانجليز لا يطلب الا منهم مباشرة ، وهذه هى قاعدة كل المصريين حتى المتحمسين فى الوطنية الى آخر طرف منها فانهم الآن لايطلبون الجلاء الا من الانجليز ٠

ولذلك فانه لاسبيل لحصول المصريين على رغباتهم من فك تلك القيود الثقيلة عن أرجلهم والأغلال الضيقة عن أعناقهم الا بأحد

أمرين ، الأول أن تخلص انجلترا مع مصر اخلاصا يوازى شرفها ، ومقامها فى العالم ، فتعمل للجلاء سرا وجهرا ، فلا يمضى زمن قليل حتى تكون قد أخذت أهبتها ، وشرعت فى الرحيل من هذه الديار ، وهذا لسوء حظ مصر لانرى من العلامات ما يودع فينا الثقة والاعتماد الكلى على وعودها بالرغم من احسان فريق كبير من المصريين الظن فى هذه الدولة .

والثانى أن تقهر انجلترا على ترك مصر ، وهذا لا يكون الا بطريقتين : الأولى : أن تقع انجلترا فى حرب كبرى مع دولة عظمى ذات قوة وبأس كألمانيا التى تتربص بها المكائد ، وتحفر لها حفر المنايا لتخلفها على سيادة البر والبحر كما تمنى نفسها بذلك ، فيكون من وراء مثل هذه الحرب أن تستدعى جنودها من مستعمراتها وعلى الخصوص من مصر .

والثانية : اذا تمكن الهنود من أن يجمعوا كلمتهم ، وأن يفلحوا فى حركتهم ويخلصوا من نير الأجنبى فينتهز المصريون الفرصة السانحة ، وانجلترا فى زؤام مصائبها .

وبذلك فان المؤيد لم تستبعد الثورة من وسائل تحقيق الجلاء ، ولكنها علقت ذلك على قيام الهنود بثورتهم أولا حتى ينتهز المصريون الفرصة للانقضاض على انجلترا وهى « فى زؤام مصائبها » كما تقول .

موقف المؤيد من مد امتياز قناة السويس :

حاول الانجليز فى أواخر عام ١٩٠٩ استغلال سياسة الوفاق لمد أجل امتياز قناة السويس أربعين سنة أخرى فى نظير أربعة ملايين من الجنيهات ، وذلك بالاتفاق مع بطرس غالى .

وقد بدأت المؤيد حملتها على هذا المشروع منذ بداية ظهوره حيث حذرت الوزارة من قبوله ، وأنه اذا قبلت الوزارة هذا المشروع فسيكون ذلك نقطة سوداء لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الوزارات السابقة ·

كما اقترحت المؤيد أن تقدم الوزارة استقالتها اذا صمم الانجليز على المشروع ، وأن تقوم الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين باعلان استيائهما وترك كراسيهما خالية حتى يعلم الرأى العام فى أوروبا ما تزرعه يد السياسة الأجنبية من بذور الشقاق والاختلاف ، وبذلك يحين الوقت المناسب لتدخل الدولة العلية حيث لايمكن أن تسمح الدول الاوربية بحرماننا من قناة اشتغل فى حفرها ثلاثون ألفا من أبناء البلاد ·

كما نشرت المؤيد عددا كبيرا من برقيات الاحتجاج من الاهالى مطالبة الخديو بعدم الموافقة على مد امتياز قناة السويس ·

وأخذت المؤيد تحث الحكومة على رفض المشروع مؤكدة أن الانجليز لايستطيعون اكراه الحكومة المصرية على قبوله ، واذا هم أكرهونا عليه بالقوة فاننا نشهد الله وملائكته والناس أجمعين بأنهم ظالمون متجبرون ·

وقد استخدمت المؤيد شكل التحقيق الصحفى حيث عرضت آراء عدد كبير من المواطنين المعارضين للمشروع ·

وأكدت أن الأمة المصرية قد أجمعت أمرها لأول مرة على رفض هذا المشروع لا فرق بين متطرف او معتدل ، كبير أو صغير ، كهل او شاب أو صبى ·

وقد تفاخرت المؤيد بذلك حيث ظهرت الأمة المصرية فى ثوب جديد ما عهدنا أن نراها فيه من قبل ، فأى صدر لا ينشرح وأى فؤاد لا ينثلج فى هذا اليوم الذى اجتمعت فيه كلمتنا لصالح البلاد ، انى أرحب بالمصائب لاحبا فى لقائها ، ولكن لأنها جمعت كلمتنا ، وقربت لنا غايتنا فى موقف الدفاع عن مصلحة البلاد لأن محـــور سياسة الدول الاستعمارية دائر على وجود الانشقاق بين أفراد الأمم المغلوبة على أمرها .

كما طالبت الجمعية العمومية برفض المشـــروع وحملتهـــا مسئولية ذلك ، فالجمعية العمومية الآن بين أمرين ، وهى اما أن تسجل لنفسها صحيفة بيضاء يفتخر بها الأبناء والأحفاد على مـــر الزمان ، واما أن تكون سبب ضياع أعظم منبع لثروة البلاد ، وهى القادرة على حفظ هذا المنبع ، فمسألة مد امتياز قناة السويس ليس فيها الا كل ضرر بالبلاد ، وكل نفع للشركة ، وسر خفى أضمرته السياسة الاحتلالية .

كما طرح الشيخ على يوسف على الجمعية العمومية اقتراحا بارجاء البت فى المشروع ، والحكم بقبول الاتفاق أو رفضه حتى ل البلاد دستورا نيابيا تقوم عليه هيئة نيابية تمثل الأمة تمثيلا لا ، فتحكم بقبوله أو رفضه كما تراه موافقا لمصـــلحة الأمة ، رتشترط الشروط اللازمة لكيفية صرف الأموال التى تنتج من عقد الاتفاق الجديد لو قبلته .

وظلت المؤيد تكرر هذا الاقتراح مؤكدة أنه سيكون بمثابـــة احتجاج على ترك مصر بلا دستور نيابى تقوم عليه هيئة كاملـــة قادرة على الحكم فى المسائل الخطيرة من كل وجه ، فقد رأينا بعض

أعضاء الجمعية العمومية يستقيلون من عضوية اللجنة بحجة أنهم غير أهل للنظر فى مشروع خطير كهذا ٠

ولكن مجلس النواب الذى يكون مؤلفا من مئات الأعضاء ، ومن صفوة كل طبقات الأمة المصرية لايمكن أن يحكم عليه أحد بأنه غير كفء للنظر فى مشروع خطير كهذا ٠

وقد استمرت المؤيد فى نشر مجموعة كبيرة من البرقيات الى الجمعية العمومية تطالب برفض المشروع ٠

كما خاطبت المؤيد الانجليز بقولها : ليعلم الانجليز أنه مهما طال مقامهم فى بلدنا ، فلابد أن ينسحبوا منها طوعا أو كرها ، فعليهم اذن أن يستميلوا الأمة لتحفظ جميلهم عند رحيلهم ، واذا كانت انجلترا تطمع يوما أن تضم مصر الى مستعمراتها فانها اذن تبحث عن حتفها بظلفها ٠

ورغم ذلك كله فقد نشرت المؤيد مقالا كتبه مرقص سميكة عضو الجمعية العمومية ـ وهو العضو الوحيد الذى وافق على مشروع مد امتياز قناة السويس ـ وقد طالب أعضاء الجمعية العمومية فى مقالههذا بالموافقة على المشروع ٠

لكن المؤيد أبرزت رفض الجمعية العمومية للمشروع مطالبة باقامة حفلة تكريم لأعضاء الجمعية الذين برهنوا على كفاءتهم النيابية التى هى كفاءة الأمة برفض مشروع القناة ٠

موقف المؤيد من فشل سياسة الوفاق :

ويبدو أن جورست قد اشتد فى معاملة الخديو عباس بعد رفض مد امتياز قناة السويس ، وقد انعكس ذلك على جريدة المؤيد التى

أعلنت انتهاء سياسة الوفاق فى مقال كتبه على يوسف بعنوان « عود على بدء » اعترف فيه بأن سياسة الوفاق كانت خدعة سياسية ، ولكنه أنكر أن بعث قانون المطبوعات والقوانين المقيدة للحريات من نتائج سياسة الوفاق حيث قال : ان كانت هذه الأشياء نتائج لسياسة الوفاق ، فبئست هذه السياسة ، ولعن الوفاق الذى هو من قبيله ، ولكن الى متى نغش الأمة ولا ننسب المسببات الى أسبابها ؟ لماذا نقول ان بعث قانون المطبوعات كان مسببا عن سياسة الوفاق بين عابدين وقصر الدوبارة ، ولا نقول الحق انه كان مسببا عن روح الشر التى فشت فى بعض الصحف التى كانت تباهى بأنها تكتب حروفها من نار لا تبالى أن تخالف النظام العام وأن تبغض الأمة فى الحكومة بقدر ما تستطيع ٠

ولكن رغم ادراك المؤيد أن الوفاق كان خدعة سياسية فانها دعت الى اعادة سياسة الوفاق من جديد بأن تتفق الحكومة والوكالة البريطانية على سياسة حازمة لا تعرقل مساعيها مشاغبات المشاغبين وأن يتخلص المعتمد البريطانى من عمال يعملون ضده ، وضد مصر ارضاء لشهواتهم ٠

وبذلك أفصحت المؤيد عن استعداد الخديو لضرب الحزب الوطنى فى مقابل تخلص جورست من الموظفين الانجليز الذين يعرقلون سياسة الوفاق ٠

ولكن المؤيد اتجهت بعد انهيار سياسة الوفاق الى مهاجمة الاحتلال حيث انتهزت فرصة عيد الثورة الأمريكى لتجعل منه مادة لمهاجمة الاحتلال ملوحة بامكانية تكرار هذه الأحداث التى أضاعت جزءا من أجزاء الامبراطورية البريطانية كما اتجهت الى استنهاض الشعب المصرى ٠

..واتجهت أيضا الى التقرب من الحركة الوطنية باستنكار الحكم الذى صدر ضد محمد فريد فى قضية ديوان وطنيتى. حيث اعتبرت أن هذا الحكم اضطهاد سياسى ، والقضاء يجب أن ينزه نفسه عن مثل هذا ٠

لكن المؤيد لم تستمر فى مهاجمة الاحتلال بعد تعيين اللورد كتشنر بالرغم من أنه قد عاد الى سياسة كرومر الديكتاتورية لكى يضع حدا لتدخل الخديو ، وتطلعه للحكم الشخصى ، كما عمد الى تصفية الحركة الوطنية ٠

بل وصل الأمر بالمؤيد الى تأييد اللورد كتشنر حيث أبرزت دعوته لحوالى ٥٠٠ من أعيان المصريين للاجتماع فى حديقة منزله على أساس أن اللورد أراد بذلك ان يخالف عادات من سبقه ، ويكون أقرب الى المصريين على اختلاف طبقاتهم ، وأن يعلم الانجليز الموجودون فى مصر أن الامتزاج بالمصريين خير من العزلة ، وأن التودد للناس أعلى سياسة ، وذلك يعنى أن الرجل الجندى العظيم يمكن أن يكون سياسيا عظيما أيضا ٠

كما أبرزت المؤيد زيارات كتشنر للاقاليم ووصفت الاستقبالات والزينات التى اقيمت له فى الزقازيق وطنطا والمحلة الكبرى دون أن تعلق على ذلك ٠

كما نشرت المؤيد مقالا لاسماعيل باشا اباظة يودع به لورد كتشنر خلال سفره الى لندن قال فيه ان المصريين يجب أن يقولوا كلمة لهذا الرجل العظيم بمناسبة سفره ليشجعوه فى طريقه وليستزيدوه من المشروعات الخطيرة والأعمال النافعة الكثيرة التى أنفذت على يديه فى هذه المدة القصيرة ، واذا اعتبرنا الماضى

قياسا للمستقبل بالنسبة لأعمال ومجهودات اللورد كتشنر في مصر أثناء الأشهر التسعة الماضية استبشرنا بمستقبل زاهر حسن مملوء بالخير والسعادة والبركات ، وتحققنا أن الدهر قد ابتسم حقيقة لمصر والمصريين .

وقالت المؤيد : ان اللورد كتشنر قد أخلص لأمير البلاد اخلاصا حقيقيا جاهر به في خلواته وفي مجتمعاته ، وكان ذلك الاخلاص من حسن حظ المصريين حيث وقاهم شر الاهوال والخطوب التي كانت تذهب بمصالحهم كما تذهب النار بالحطب .

كما أبرزت المؤيد قرار وزارة المعارف بتدريس بعض العلوم باللغة العربية موجهة الشكر لكتشنر الذي ثبت أنه رجل يجري وراء المصلحة المصرية فيما لا يضر المصالح الانجليزية ، واثقا من أن المنافع الانجليزية لا تتعارض مع المصالح المصرية الضرورية لحياة الأمة سواء كان من الوجهة الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية مقدرا ما ينجم عن حسن التفاهم بين المصريين والانجليز من الخير لهما معا ، ولذا نراه لا يألو جهدا في تنمية علاقات الوداد بين الأمتين سواء في محادثاته أو أعماله .

كما ظلت المؤيد تؤكد أن العلاقات بين الخديو عباس واللورد كتشنر على أحسن مايرام وأن كتشنر يعتمد في سياسته على تعضيد الجناب العالي الخديو ومساعدته ، ومتفق معه على ما فيه خير مصر .

كما حاولت حث كتشنر على اتباع سياسة الوفاق لأن هذه السياسة في رأيها من أعظم وسائل سعادة القطر وسلامته من الهرج والاضطراب والفتن والدسائس ، وأن عكس ذلك كله في سياسة

الشقاق ، وحثت المصريين على حسن التعـــامل مع الانجليز لأنه الوسيلة الوحيدة للحصول على الاستقلال فلتكن للانجليز منا موادعة بلا مشاحنة ولا منازعة ، فاستقلالنا انما تناله بتبادل الثقة بيننا وبين المحتلين ٠

وقد عكست المؤيد فى هذه الفترة ضعف الخديو عباس ، وعدم قدرته على مواجهة لورد كتشنر بشخصيته العسكرية الصارمة ، وانعكس هذا الضعف أيضا على موقف المؤيد من الاحتلال ٠

المؤيد والحرب العالمية الأولى :

وما أعلنت الحـــرب العالمية الأولـــى حتى أعلنت المؤيـــد انحيازها الكامل للانجليز وتأييدها لهم بل وصلت الى حد دعوة المصريين لحمل السلاح ليفدوا الشرف البريطانى بدمائهم تطوعا رغبة فى اثبات ودهم للانجليز والجود بحياتهم قيـــاما بحق هذا الود ٠

كما أكدت ان العطف على الدولة البريطانية قد انتظم كـل طبقات الأمة ، وأن هذا العطف ينبعث عن الود الخالص ، وينميه اعتقاد أن أذى هذه الدولة أذى لنا وللعالم وللانســـانية جمعاء ، وليس أدل على هذا العطف من أن يرى الانجليز شيوخ المسلمين يدعون لهم بالنصر فى المساجد عقب الصلوات ٠

كما حاولت أيضا استخدام المشاعر الدينية للمسلمين لتأييد الانجليز محاولة الايحاء بأن تأييد الانجليز واجب دينى ، والمسلمون عن بكرة أبيهم يجمعون على أن الانجليز من خير الأمم التى خلقت للاستعمار والحكم والأخذ بناصر السليم والسعى به لبلوغه خير

أمانيه ، والمسلمون معجبون كل الاعجاب بسلوك الانجليز ، وراضون عنهم كل الرضاء ، ولا يبتغون بهم بديلا ٠

كما حاولت استخدام أمانى الأمة فى الاستقلال والدستور كمبرر لتأييد الانجليز حيث أكدت أنه يجب على المصريين أن يظهروا من الأخلاق الفاضلة ما يبرهنون به على أنهم أكفاء لحكم أنفسهم بأنفسهم ، ذلك لأن اظهار الانعطاف على الدولة البريطانية من حيث هو - بصرف النظر عن المنفعة المنتظرة - واجب أدبى عظيم ، لأن انجلترا هى بلا نزاع الدولة التى تحارب دفاعا عن مبادىء عالية وصدا لمطامع أشعبية ظالمة ، فالعطف عليها برهان على مافى النفوس من تقدير لتلك المبادىء ومساعدة على نصرتها ، زد على ذلك أن اظهار هذه العواطف واجب أيضا من الوجهة المصلحية ، لأن الانجليز طالما قالوا لنا ، ونحن نطالب بالدستور وبالحقوق الوطنية : ان انجلترا مستعدة لأن تقوم بكل تعهداتها للامة المصرية فى اليوم الذى تثق فيه أن مصر لاتريد أن تستبدل سيا بسيد ولا أن تمالىء أعداءها عليها فى وقت شدتها ، وبالاختصار أنها تساعد مصر على نيل استقلالها ودستورها ، وكل أمانيها فى اليوم الذى تبرهن فيه الأمة المصرية على أنها قادرة على تولى زمام هذه البلاد ، فكان من مقتضى الحكمة السياسية أن يظهر المصريون ماتكنه عواطفهم نحو الدولة البريطانية من اقامة البراهين الساطعة التى لاتحتاج الى تأويل أوشك على أنهم يقدرون لانجلترا حسن معاملتها لهم ، ويعرفون قيمة ما بذلته لاصلاح أحوالهم الداخلية واقامة شعائر العدل ، فبهذا يستطيع المصريون أن يعربوا عن تطلعهم الى هذه الغايات الشريفة بل الى أكثر منها مما تطمح اليه نفوس الأمم المستعدة الراقية ٠

وقد أبرزت المؤيد قرار الحكومة البريطانية باعلان الأحكام

العرفية في مصر ، وأكدت أن هذه الأحكام لا تخيف أحـدا غير الشريرين والمتطفلين الذين يقولون ما لايفعلون ، ويتشدقون بما لايعرفون ، والأمة المصرية المتأدبة العاقلة التى تعرف مصلحتها ، ولا تجهل مركز البلاد الحالى لا يوجد فيها أحد من هذا النـوع . فهى لا تزعجها الأحكام العرفية ، ودعت المصريين الى الخلود الى السكينة فى هذه الظروف شاكرين نعمة الله عليهم ، وأن الاجراءات الاستثنائية التى اتخذتها الحكومة هدفها الحفاظ على مصالحهم ، والدفاع عن أرواحهم وأموالهم ٠

كما هاجمت المؤيد الدولة العثمانية فهى ليست منا ولا نحن منها ، لأنها حولت وجهها عن مصالحنا ، ولم تعاملنا معاملة الأبناء فالمسلم مغلوب على أمره فى دولة تنتسب اليه ، ولا تحفل براحته ولا تأتمر بأوامر نبيه ، وقد عرفت دول التحـــالف هذه الحقائق فجاهرت رسميا أنها لا تحارب الأمة العثمانية أو الشعب الاسلامى ، ولكنها تحارب الحكومة التركية وأنصارها ٠

وان من واجبنا أن ننظر الى مصالحنا العامة كمسلمين تشترك مع اجماع الأمة الاسلامية فى أقطار الأرض بأن دخول تركيا فى هذه الحرب لا مصلحة للاسلام فيها ، والا نندفـع وراء الأهـــواء والغايات والا جنينا على هذه البلاد جناية قل أن يغتفرها الزمن ٠

كما أبرزت المؤيد خبر اعلان الحماية على مصر فى صفحتها الأولى فى الوقت الذى عطل فيه أمين الرافعى جريدة « الأخبار » حتى لاينشر فيها خبر اعلان الحماية على مصر ، ولم تكتف المؤيد بذلك بل أكدت أن الأمة المصرية كانت تنتظر ذلك اليوم الأغر المحجل الذى يتغير فيه مركز مصر السياسى تغييرا معقـــولا يدخلها فى مصاف الأمم ذات الحول والطول لتنام على بساط وثير من الراحة

والبدعة ، وقد اتاح الله لمصر اليوم صاحب سيادة ساهرا على خير رعيته الا وهو جلالة الملك جورج الخامس ملك انجلترا وامبراطور الهند الحاكم على أكثر من تسعين مليونا من المسلمين ، فنحن اليوم تحت ظل امبراطورية عظمى تحكم أمما كثيرة بكمال الحرية الزائدة ، ولايسعنا الا اسداء الثناء الجزيل للملك الانجليز ، ولحسن آراء مستشاريه لاحترامهم كل حقوق آل بيت محمد على الكبير ولمحافظته واياهم على جميع حقوق وآمال الشعب المصرى ٠

كما أبرزت المؤيد خبر خلع الخديو عباس حلمى وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، ونشرت عددا كبيرا من برقيات التهنئة للسلطان حسين كامل بمناسبة توليه العرش ٠

كما رحبت بتعيين السير آرثر مكماهون معتمدا لانجلترا فى مصر وقالت : ان الأمة المصرية تنظر الى نائب الملك الجليل نظرة تختلف عن نظرتها الى أسلافه كرومر وجورست وكتشنر ، فان مركز هؤلاء بالرغم من الاحتلال ، وقوته ، وثبوت قدمه كانت تعلو مراكزهم مسحة من الغرابة لأن البلاد كانت تحت سيادة أخرى ٠

وقد استمرت المؤيد خلال عام ١٩١٥ فى ابراز أخبار انتصارات الحلفاء معتمدة على البلاغات العسكرية ، ولكن لاحظنا ظهور أجزاء بيضاء على صفحات الجريدة خلال تلك الفترة نتيجة للرقابة المفروضة على الصحف ، ولكن لايمكن تفسير ظهور هذه المساحات البيضاء بأن المؤيد قد حاولت مهاجمة الاحتلال البريطانى ، ذلك أن كل الاخبار التى كانت تنشرها توحى بتأييدها الكامل للانجليز ٠

* * *

الفصل الخامس

المؤيد والدستور وقضايا الحريات

المبحث الأول

المؤيـــد والدســـتور

١٨٨٩ ـ ١٩٠٤

لم ينس الوطنيون المصريون أن مصر قد حصلت على الدستور قبل الاحتلال البريطانى ، وجاء هذا الاحتلال ليحطم صـــرح هذا الدستور الذى حصل عليه الوطنيون بعد كفاح مرير ، وليقيم على أنقاضه واجهة شبه نيابية لحكمه الاوتوقراطى المستبد ، تمثلت فى مجلس القوانين والجمعية العمومية ٠

ومع الأخذ فى الاعتبار أن التجربة النيابية الأولى فى مصر لم تستمر سوى ٤٧ يوما ، ابتداء من ٧ فبراير ١٨٨٢ حتى ٢٦ مارس ١٨٨٢ ، وهو تاريخ انتهاء دورة الانعقاد الأولـــى لمجلس النواب الذى انتخب على أساس دستور ١٨٨٢ فانه يمكن القول بأن هذا المجلس ودستوره كانا ومضتى حرية بين حكم مطلق مستبد سبقهما واحتلال أجنبى مستعبد تلاهما ، وظلت هذه التجربة تمثل مبررا من أهم المبررات التى طرحتها الحركة الوطنية فى كفاحها من

أجل الدستور كبرهان على أهلية المصريين وكفاءتهم للحكم النيابى، وقد أقام الاحتلال البريطانى نظام حكم استبدادى أصبح فيه المعتمد البريطانى سلطة تستبد بالحكومة الخديوية والشعب المصرى معا ، ولذلك كان من الطبيعى أن يشتد الهجوم على الحكم المطلق والسلطة الاستبدادية ، وتنشط الدعوة الى الحكومة المقيدة ٠

وبالرغم من أن المؤيد قد ركزت كل اهتمامها – فى الفترة من ١٨٨٩ حتى ١٩٠٠ – فى مهاجمة الاحتلال البريطانى ، باعتبار أن الجلاء هو الهدف الأساسى للحركة الوطنية ، فانه قد صدرت عن المؤيد بعض الاشارات المتفرقة للدستور خلال هذه الفترة ٠

وكانت الاشارة الأولى للدستور فى عام ١٨٩١ ، حيث علقت على استقالة وزارة مصطفى رياض قائلة : ان الوزارات فى أوروبا مسئولة مباشرة أمام الشعوب لا الملوك ، وأنه ليس فى قدرة الملك أن يحل وزارة من تلقاء نفسه ما دامت الأمة راضية عنها ، اما فى مصر فلا يوجد دستور نيابى يمنح الشعب المصرى أن يتدخل فى انتخاب وتعيين الوزراء ٠

وشرحت المؤيد مبدأ المسئولية الوزارية فى النظم الديمقراطية كما علقت على الاشاعة التى ترددت عند تولى الخديو عباس العرش بأن الخديو يرغب فى منح مصر الدستور حيث قالت انه لو صح ابراز هذا المشروع الى عالم الوجود لكان جليـــل الفائدة ، وان الخديو يسعى بذلك فى ترقية رعيته ، وطالبت بمنح أعضاء المجلس النيابى المقترح حصانة برلمانية حتى يكون لنواب الأمة ضـــمانة الاستقلال فى الرأى ٠

ونشرت المؤيد كذلك حديثا أجراه مراســل جريدة النيويورك هيرالد مع على يوسف طالب فيه بتأسيس حكومة دستورية مسئولة

أمام مجلس نيابى تنتخب أعضاءه الأمة ، وقد علق مراسل النيويورك هيرالد على ذلك بأن على يوسف يعتقد أن مصـــر مستعدة لتنظيم حكومة دستورية .

وقد أشار أحمد شفيق الى هذا الحديث باعتبار أن على يوسف هو أول من طالب بالدستور بعد الاحتلال البريطانى .

ويؤكد ذلك محمد جمال الدين المسدى مشـيرا الى أن على يوسف قد كتب مقالا فى المؤيد عام ١٨٩٢ قال فيه ان الشعب يريد أن يكون مجلس شورى القوانين ممثلا للامة ، وأن تكون له سلطة تشريعية حقيقية ، وفى عام ١٨٩٤ كتب مقالا آخر يعزوفيه مساوىء الادارة الى عدم وجود سلطة تشريعية فى الحكومة ، وطالب باقامتها وبأن تكون لها كل الصلاحيات كما طرحت المؤيد موضوع شرعية الحكومة ، والإرادة الشعبية كمصدر لهذه الشرعية فى مقال لهـا عام ١٨٩٧ يتضح منه ما يلى :

١ ـ حددت المؤيد مصادر شرعية الحكومات فى مصدرين أساسيين هما الدين والارادة الشعبية ، وبذلك تكون أى سـلطة لا تستند الى أى من هذين المصدرين سلطة مغتصبة .

٢ ـ عكست المؤيد الرأى المحافظ حيث رفضت فكرة الثورة لاستعادة هذه السلطة المغتصبة ، وأن هذه السلطة واجبة الاحترام حتى تستطيع الأمة تغييرها فى ظروف لاتهدد النفوس ، ولا تذهب بحقوق الضعفاء ، ولاتستبيح دماء حرمها الله .

٣ ـ أبرزت المؤيد التناقض بين دعوى الانجليز بأن القانون النظامى هدفه التمهيد للنظام الدســتورى ، وعـدم احتـــرام الحكومة لمجلس شورى القوانين .

٤ ـ اعتبرت المؤيد أن مجلس شورى القوانين يمثل الأمة ، وبالتالى فان المواجهة بين هذا المجلس والحكومة هى فى الحقيقة مواجهة بين الأمة والانجليز ، ويعكس ذلك رؤيتها لهذا المجلس ، التى يمكن أن تتضح اذا عرفنا أن الخديو قد استخدم ـ فى هذه الفترة ـ مؤيديه من أعضاء المجلس لمواجهة الاحتلال ، وبالتالى كان من الطبيعى أن تعتبره ممثلا للامة لكى تعطى للقرارات التى اتخذها ضد الاحتلال صفة الشرعية ٠

كما نشرت المؤيد خلال عام ١٨٩٩ مجموعة مقالات لمحمد عمر هاجم فيها النظام الاستبدادى لأنه يخنق مواهب وامكانيات وطاقات أى شعب ، واستعرض التاريخ المصرى قديمه وحديثه مبرهنا على أن فترات الازدهار فى تاريخ مصر كانت دائما هى تلك الفترات التى سادت فيها الديمقراطية ، وأن فترات الانهيار الحضارى فى مصر كانت دوما الفترات التى حكمت فيها مصر حكما استبداديا ٠

وقد تصدت المؤيد للحملة الدعائية التى كانت تقوم بها انجلترا داخل البلاد وخارجها مدعية أن مصر قد صـــارت بلاد الدستور والعدالة ، وقد فندت المؤيد هذه الادعاءات مؤكدة أن الدستور فى مصر اسم لامسمى له الا الأهواء السياسية ، وأن القانون فيها مدوس بالأرجل ٠

٠ وقد قامت المؤيد بحملة صحفية على الحـكم الاســتبدادى بدأتها بمقال للأمير ميلكم خان ميرزا الذى أكد أن الاستبداد سطوة عمياء تمحق كل الحقوق الانسانية ، وتبيد جميع عناصـــر التقدم والارتقاء ، وهو مصدر شقاء شـــعوب الشرق ، وطالب أوروبا بمساعدة حركة التقدم فى البلاد الشرقية على شهر حكومة مقيدة ونظام نيابى ، معبرا بذلك عن عدم ادراكه لحقيقة أن مصــــلحة

أوروبا كانت تتفق مع بقاء الحكم الاستبدادى المطلق بين شعوب الشرق .

كما أفسحت المؤيد صفحاتها الأولى لنشر مقالات عبد الرحمن الكواكبى التى هاجم فيها الاستبداد ، والتى جمعت بعد ذلك فى كتاب بعنوان طبائع الاستبداد .

وقد أكد الكواكبى فى هذه المقالات أن الاستبداد هـو سبب انحطاط الأمم ، وأن ترقى أية أمة رهن بالقضاء على الاستبداد فيها ، ولكنه يرى أن الاستبداد لا يقاوم بالثورة أو العنف ، وانما يقاوم بالحكمة والتدرج .

ورغم أن الهدف من مقـالات الكواكبى هو مهاجمة الدولـة العثمانية والسلطان عبد الحميد خاصة ، وأن المؤيد قد نشرت هذه المقالات فى فترة الجفاء بين السلطان عبد الحميد والخديو عباس ، ولولا ذلك لتعذر نشر المقاولات فى جريدة المؤيد لسـان القصـر الخديو ، فانه يمكن القول بأن هذه المقالات كان لها أهمية كبيرة فى توعية الشعب بأخطار الحكم الاستبدادى وكانت تمهيدا ضروريا لطرح مطلب الدستور كأحد المطالب الأساسية للحركة الوطنية .

كما هاجمت المؤيد الحكومة لمحاولاتها المستمرة فى انتقاص سلطات مجلس شورى القوانين والجمعيـة العمومية مؤكدة أن دستور كل أمة ليس الا عهدا بين الحكومة وبينها قد عاهدتها على أن تحكم الرعية بمقتضاه حتى لا تستبد فتظلم ، غير أن حكومـة مصر لاتريد أن تحفظ عهدها مع الأمة ولا أن تبقى لها النصـيب القليل من حرية الرأى الذى منحتها اياه .

كما أكدت المؤيد أيضا على أهمية الدستور باعتبار أن العدل المبنى على أساس الدستور ، والعلم القائم على دعائم حرية الفكر هو منشأ هذه الحياة الجديدة التى يتمتع بنعيمها الغربيون ، ومبعث ذلك الفيض المدنى العظيم الذى أسبغ على الدول الأوربية لباس القوة ، فانقلبت على ممالك الأرض لتقوض بنيانها البالى القديم ، وتمهد لنفسها سبيل التسلط على الأمم ·

وبمناسبة اجراء الانتخابات العامة لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومجالس المديريات فى يناير عام ١٩٠٢ قامت المؤيد بحملة صحفية طالبت فيها بتعديل نظام الانتخابات « واعطاء أغلبية الأمة نصيبها من حقوق الانتخابات العامة تحقيقا للغرض المقصود منها ، وهو الوصول الى انتخاب أكثر الناس أهلية وكفاءة للنيابة عن الأمة ·

وشرحت عيوب قانون الانتخابات فيما يلى :

١ ــ حصر عدد المندوبين للانتخابات فى أفراد قليلين كما هو الشأن فى القاهرة والاسكندرية والمدن الكبرى ·

٢ ــ ان الباعث على الترشيح للانتخابات هو الحصول على الرتب والنياشين ، واقترحت الغاء منح الرتب والنياشين لأعضاء مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ليقل التزاحم الضار عليها وليوجه الانتخاب لها الى وجهة المصلحة العامة المرادة من هذه المجالس ·

٣ ــ ان انتخابات مجلس شورى القوانين قد أصبحت خصوصية وليست عمومية لأن الذين ينتخبون أعضاء مجلس

الشورى لا يزيدون على ١٤ كما هو الشأن فى عضو هذا المجلس عن الاسكندرية ، وقد ينقصون الى ثلاثة كما هو الشأن فى انتخاب عضو المجلس عن مديرية الجيزة ، وبالتالى تكون طريقة الانتخاب لمجلس الشورى أقل فى ضماناتها من انتخاب مجالس المديريات ٠

٤ ـ ان بعض أعضاء مجـــالس المديريات قد يتفقون فيما بينهم ، أو يتفق أكثرهم دون أقلهم على أن يقترعوا فيما بينهم قبل يوم الانتخاب فمن أصابته القرعة قرروا فى أنفسهم انتخابه ، وهى طريقة لا تلائم الغرض المقصود من تقرير الانتخـــاب بالأصــوات وجعله سرا من أسرار العمل يوم اجرائه الرسمى ، وطالبت المؤيد بتعديل قانون الانتخاب وجعله بالأصوات العامة ٠

كما طالبت بمنع العمد من الترشيح لعضوية المجالس النيابية الثلاثة باعتبارهم من موظفى الحكومة ، لأن هذه المجالس يجب أن تكون منفصلة عن الحكومة مستقلة فى ذاتها ، يجرى الانتخاب لها بدون سلطة مؤثرة من رجال الحكومة ٠

كما أبرزت المؤيد قرار الجمعية العمومية بعرض نظم التعليم وبرامجه على مجلس شورى القوانين ليبدى رأيه فيها ككل القوانين واللوائح العمومية ، وعلقت على هذا القـــرار بأن هذه الحقيقة مسطورة ومقررة فى القانون النظامى ، واستئثار الحكومة بها سلب لسلطة المجلس ، وحرمان له من وظيفته ، واعـــراض عن ســـنن الدستور ، فالجمعية العمومية قد أصابت كل الاصابة فيما قررته أمس وليس قرارها هذا مما يقبل أولا يقبل من قبل الحكومة ، لأنه فى الحقيقة تذكير بأصل قانونى واجب احترامه والعمل به ، وهو ما نص عليه في المادة الثامنة عشرة من القانون النظامى ٠

وعندما ردت الحكومة برفض اقتراحـــات الجمعية العمومية هاجمت المؤيد الحكومة متهمة اياها باهانة الجمعية ، وقالت : ينبغى لنا أن نخاطب المحتلين الذين أصبحوا فى مقام الاوصياء والقوام على نظار الحكومة ، ونقول لهم ان نظار الحكومة بعد عشرين سنة من الاحتلال وتعليم الحكومة آدابها والامة واجباتها صار نظار الحكومة يخاطبون الهيئات النيابيـــة التى سمحتم بأن تحل محل مجالس النواب للامم المتمدنة تشبيها لهذه بتلك ، بمثل هذا السباب فى أجوبتها على اقتراحات بسيطة موضوعة فى أحسن الاساليب ٠

من خلال هذا العرض لمعالجة المؤيد لقضية الدستور يمكن أن نلاحظ ما يلى :

١ ـ ضعف وقصور معالجة المؤيد لهذه القضية خلال الفترة من ١٨٨٩ حتى عام ١٩٠٤ ٠

٢ ـ تركيز المؤيد فى الفترة من ١٨٨٩ حتى عام ١٩٠٠ على مهاجمة الاحتلال البريطانى والمطالبة بالجلاء ٠

٣ ـ ان الحركة الوطنية المتحالفة مع الخديو لم تطرح قضية الدستور خلال هذه الفترة ولم تعطه قدرا من اهتمامهـــا ، ويمكن تفسير ذلك بأن الحركة الوطنية قد علقت أمــــلا كبيرا على الدول الأوربية خاصة فرنسا ، وأن هذه الدول لن تسمح باستمرار الاحتلال البريطانى ، وبالتالى فانها كانت تأمل فى أن يتحقق الجلاء فى وقت قريب ، وعلى ذلك فقد اعتبرت الدستور قضية مؤجلة حتى يتحقق الجلاء ٠

٤ ـ ان المؤيد قد اعتبرت مجلس شــــورى القوانين ممثلا للامة لتعطى للقرارات التى أصدرها برفض الموافقة على نفقات جيش الاحتلال البريطانى شرعية وأهمية ٠

٥ ـ ان هجوم المؤيد على الحكم الاستبدادى ، ونشرها لكتاب عبد الرحمن الكوكبى « طبائع الاستبداد » قد جاء فى فترة الخلاف بين السلطان عبد الحميد والخديو عباس الأمر الذى يوحى بأن الاستبداد المقصود هو استبداد عبد الحميد وليس استبداد الانجليز أو الخديو ، واذا كانت هذه المقالات قد ساهمت فى توعية الشعب بأخطار الحكم الاستبدادى ومساوئه فان ذلك لم يكن الهدف الأساسى من نشرها لهذه المقالات ٠

٦ ـ ان على يوسف قد طالب فى حديثه مع مراسل جريدة النيويورك هيرالد ، الذى نشرته المؤيد بتأسيس حكومة دستورية فى مصر ، ورغم ذلك فان المؤيد لم تعط لقضية الدستور اهتماما كبيرا ، وهو الأمر الذى يؤكد صحة تحليلنا ، وهو أن الحركة الوطنية لم تهمل الدستور ولم تنسه ، ولكنها اعتبرته قضية مؤجلة لحين جلاء الانجليز عن مصر ، الذى كانت الحركة الوطنية تأمل فى أن يتحقق فى وقت قريب ٠

❋ ❋ ❋

المبحث الثانـى

المؤيــد والدســـتور

١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

كان طرح الشيخ على يوسف لاقتراحه على الجمعية العمومية الذى طالب فيه بمنح مصر نظاما نيابيـا حقيقيـا ، هو البدايـة الحقيقية لكفاح الحركة الوطنية من أجل الدســتور بعد الاحتلال البريطانى باعتباره مطلبا شعبيا والربط بينه وبين الجلاء ٠

وقد أبرزت المؤيد هذا الاقتراح ، ودافعت عنه فى ١١ مقالا نشرتها خلال شهر مارس ١٩٠٤ ، وقد أوضحت فى هذه المقالات ما يلـى :

١ ـ ان الدستور حق طبيعى للامة ، وأنها يجب أن تطلبه حتى ان كانت الحكومة لن تجيب الجمعية العمومية فيما طلبته ، لأن الحكومة لا يمكن أن تهب الأمة مجلسا نيابيا ـ ولو بعد مائـة سنة ـ من غير أن تطلبه هى ٠

٢ ـ مع اعتراف المؤيد بحقيقة أن الدستور ليس منحة من الحاكم ، وأنه لايعطى غالبا للامة عطاء ، ولكنه يؤخذ من الحكومة أخذا ، فانها أحسنت الظن فى الحكومة مبررة ذلك بأن الحكومة قد منحت البلاد ـ فى القانون النظامى ـ جزءا من الدستور ٠

٣ ـ أكدت المؤيد أن مجلس شورى القوانين لا يمثل الأمة مبررة ذلك بقلة عدد أعضائه ، وطبيعته الاستشارية ٠

٤ ـ كما أكدت أيضا أن المعنى النيابى فى القانون النظامى مفقود ، وأن الحكومة والأمة محتاجتان كثيرا الى وجوده لتستنير الأولى ، وتنتفع الثانية بوظيفتها أكثر ، وأن الجمعية العمومية قد أصابها الوهن والضعف ٠

٥ ـ بررت المؤيد توجيه الجمعية العموميـــة طلبها بانشاء مجلس نيابى الى الحكومة ، وليس الى الخديو ـ فى ردها على جريدة المقطم التى أثارت ذلك ـ بأن المجالس النيابيـــة لاتخاطب ملوكها مباشرة ، وانما تخاطبهم فى شخص الحكومة التى هى فى الحقيقة ديوان الملك ، ويرى الباحث أن هذا الدفـــع يعكس ادراك المؤيد لمبدأ دستورى مقرر فى النظم البرلمانية هو أن الملك يملك ولا يحكم ٠

٦ ـ دافعت المؤيد عن حق الجمعية العمومية فى طلب انشاء مجلس نيابى بأن اقتراح انشاء مجلس نواب لا يخرج عن كونـه اقتراح مشروع قانون ، ولكل عضو فى الجمعيـة حــق فى هذا الطلب ٠

٧ ـ قارنت المؤيد بين مصر وعدد من البلاد التى حصلت على الدستور مؤكدة بذلك على استعداد مصر للحكم النيابى ٠٠

٨ ـ كما أشارت الى التجربة النيابية المصرية التى سبقت الاحتلال البريطانى كدليل على أهلية المصريين للحصــول على الدستور و حملت الاحتلال مسئولية هدم هذه التجربة ٠

٩ ـ أكدت المؤيد أن وجود مجلس نواب يتيح للامة الاستفادة من الكفاءات الموجودة فى المجتمع حيث ان هناك علماء كبارا فى الهندسة والطب والقانون ، وموظفين سابقين لايفكرون فى ترشيح أنفسهم لمجلس شــورى القوانين والجمعية العمومية ، ولو وجد مجلس نواب لكانوا فى مقدمة المرشحين ، فمن يقل أن مصر مجردة من العناصر النافعة لمجلس نيابى كان من أعدائها المتعسفين ٠

١٠ ـ كما أكدت أن الرأى العام فى مصر يؤيد هذا الاقتراح وانه كان صدى لصوت الأمة ٠

١١ ـ تنبأت المؤيد بأن الحكومة سوف ترفض طلب الجمعية العمومية ، لأنها تحكم الآن مطلقة ، فاذا وجد مجلس نواب أصبحت مقيدة بأرائه ومسئولة بين يديه ٠

١٢ ـ أكدت المؤيد أنه ليس هناك أى خطــر على سلطــة الخديو من انشاء مجلس نواب ، فالخديو يحكم أمته منذ تولـــى الخديوية بمقتضى القاعدة النظامية التى أقامها الخديو اسماعيل ، وهى حكم الرعية بالسلطة المشتركة بينه وبين نظــاره بـدلا من السلطة الشخصية التى كان الولاة السابقون يحكمون بها ، وأن القيود التى توجد نتيجة انشاء مجلس النواب تكون على النظــار وليس على الخديو بالذات ٠

١٣ ـ كما أكدت أيضا أنه ليس هناك خطر على الاحتلال من انشاء مجلس نيابى لأن الاحتلال قوة عسكرية فوق قوى الحقوق

الدولية ، فهو فوق قوة القوانين المصرية من باب أولى ، واقترحت وضع قاعدة أساسية فى نظام هذا المجلس تجعل مسألة الاحتلال خارجة عن اختصاصاته ٠

ويوضح طرح المؤيد لاقتراحها باخراج مسألة الاحتلال من اختصاصات المجلس النيابى المقترح حتى لا يشكل المجلس خطرا على الاحتلال أن هذا الاقتراح قد جاء فى فترة مهادنة الخديو وأنصاره للاحتلال البريطانى ، وهى الفترة التى امتدت من عام ١٩٠٤ حتى بداية عام ١٩٠٦ ، وكنتيجة ليأس الخديو وأنصاره من مساعدة الدول الأوربية فى تحقيق الجلاء عن مصر ، وهو ما ينفى ما أكده الباحثون من أن على يوسف قد طرح اقتراحه على الجمعية العمومية كنتيجة لصدام عباس مع الاحتلال ، وكمحاولة لاحراج سلطات الاحتلال ٠

ومما يؤكد صحة تحليلنا أن على يوسف قد أعلن بعد الاتفاق الودى أنه اذا كانت أوروبا قد تركتنا ، فيجب علينا أن نرفع صوتنا فى كل وقت لكى ننال مجلسا نيابيا نتعزى بشىء من الاستقلال الادارى الذى ندركه به عن الاستقلال السياسى الذى خيبت أوروبا أملنا فيه ٠

وهذا يؤكد ان اقتراح على يوسف قد جاء نتيجة ليأس الخديويين من تحقيق الجلاء ، وأن الهدف منه كان استعادة جزء من سلطة الخديو التى اغتصبها الاحتلال ، والحصول على الاستقلال الادارى كبديل عن الاستقلال السياسى الذى تصور الخديويون استحالة الحصول عليه بعد تخلى فرنسا عن القضية المصرية ٠

١٤ ـ وقد أكدت المؤيد أنه ليس هناك أى خطر على الأجانب

من انشاء مجلس النواب لأنهم يقيمون داخل قلاع من الامتيازات الأجنبية ٠

١٥ ـ أكدت المؤيد أن الصحافة لاتستطيع أن تقوم بوظائفها الكاملة الا فى وجود مجلس نواب مبررة ذلك بأن مجلس النواب يوجد عند الصحفى العلم بمطالب الأمة ورغباتها ، لأن الأمة تمثل أمامه فى نوابها الذين تقضى وظيفتهم عليهم أن يتخذوا الصحافة سلاحا لهم ، فيمدوها بعلمهم وآرائهم فى كل مسألة ، فاذا قال الصحفى بعد ذلك كلمة قالها عن علم ، واذا انتقد عملا من أعمال الحكومة كان انتقاده صوابا ، أما الصحافة بلا مجلس نواب فمادتها خليط من أقوال وآراء لامعول على مصادرها كثيرا ، وان زعمت أنها تنطق بلسان الرأى العام ، فان زعمها هذا لاتزيده الحقيقة ، ولذلك طالبت المؤيد كل الصحف المصرية بأن ترفع صوتها بالمطالبة بانشاء مجلس نواب ٠

وبذلك تكون المؤيد قد طرحت رؤية تقدمية للعلاقة بين الصحافة والمجالس النيابية ، وقررت قاعدة مهمة هى أن الصحافة لايمكن أن تزدهر فنيا وفكريا الا فى ظل مناخ ديموقراطى ، وأنه لايمكن أن تقوم ديموقراطية بدون صحافة حرة ومجلس نيابى يمثل الأمة ، كما أن التنافس بين الصحف الذى يخلقه وجود الأحزاب السياسية يؤدى الى حياة الصحف وازدهارها ٠

وقد أبرزت المؤيد رفض الحكومة لاقتراح الجمعية العمومية فهاجمتها ووصفتها بأنها « تستخف بأحلام الأمة » ، كما أشارت الى أن الانجليز هم الذين دفعوا الحكومة الى رفض الاقتراح « لأنه يتناقض مع مصلحة الاحتلال ووظيفته » ، كما أشارت أيضا الى أن

الدستور النيابى عبارة عن قيود للحكومات المطلقة ، ولـــن تجد حاكما مطلقا ولو فى الوهم يتمنى أن يقيد ٠

ولكن يبدو أن المؤيد قد اكتفت بسرد الحكومة على مطالب الجمعية العمومية ، ولم تنشر خلال عام ١٩٠٥ أى مادة صحفية تطالب فيها بالدستور :

ومن الصعب تفسير اهمال المؤيد لقضية الدستور خلال عام ١٩٠٥ ، ولكن لاحظ الباحث أن المؤيد خلال هذا العام قد اتجهت الى الاشادة باللورد كرومر الى الحد الذى استخدمت فيه ـ كما رأينا ـ مشاعر المسلمين الدينية فى محاولة لتأييده باعتباره « الرجل المنزه عن اضطهاد الاديان ، والذى لا يصادر أمة فى شعائرها الدينية » ، الأمر الذى يجعلنا نقـــرر أن دعـــوة المؤيد للدستور قد تأثرت بعوامل المد والجزر فى العــــلاقات بين كرومر وعباس ، بل يجعلنا نشك فى أن اهمال المؤيد لقضية الدســـتور موحى به من قبل عباس فى محاولة منه لتدعيم العلاقات بينه وبين ممثل الاحتلال ، خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار أن عباس قد زار لندن خلال عام ١٩٠٥ ، وحضر استعراض الجيش البريطانى فى ميدان عابدين ٠

ولكن المؤيد عادت خلال عام ١٩٠٦ ـ وهو العام الذى شهد عودة العلاقات بين مصطفى كامل والخديو عباس ، وتوحيد جهود الوطنيين فى مواجهة الاحتلال البريطانى ـ خـــلال حادثتى طابا ودنشواى ـ الى طرح قضية الدستور مرة أخرى ٠

فقد نشرت المؤيد فى أبريل ١٩٠٦ رسالة موجهة من محمد توفيق البكرى نقيب الأشراف وعضو مجلس شورى القوانين الى ولى عهد بريطانيا يطالبه فيها بالدستور مشـيرا الى أن اللورد

دوفرين قد وعد عام ١٨٨٣ بتحويل مجلس شـــورى القوانين الى مجلس نيابى خلال عدد قليل من السنين ٠

كما أشارت المؤيد فى ردها على جريدة « البروجريه » الفرنسية الى أن الأجانب يعارضون فى منح مصر الدستور لأنهم يحبون أن يتوغلوا فى استنزاف ثروة المصريين وسلب أموالهم وأملاكهم بكل الوسائل التى فى أيديهم الآن من الامتيازات ، وطالبت الأغنيـــاء المصريين الذين يذهبون الى لندن لقضـــاء الصـــيف بأن يسمعوا أصواتهم للبرلمان الانجليزى الوزارة الانجليزية مطالبين بالدستور مبررة ذلك بأن الظروف التى وجد فيها المصريون الآن لا تساعدهم على القيام بثورة ضد حكومتهم لنيل هذا المطلب العظيم ، وأن التفكير فى الحصول عليه بثورة يعد خيانة للوطن ٠

لكن اتجاه المؤيد هذا الى طلب الدستور من الانجليز وليس من الخديو قد أثار استياء الوطنيين ، فقد هاجم مصطفى كامل على يوسف ، وأعتبر أن مطالبته للانجليز بمنح مصر الدســتور كانت دليلا على صغر نفسه ، وضعف ادراكه لأن القاعدة التى أيدهـــا التاريخ ألف مرة ، وليس لها استثناء هى ان الأمة لا تنـــال من حاكمها الأصلى حقوقها النيابية الا اذا أرهبتــــه ، وخشى شـــر غضبها ، فكيف تنال الأمة المصرية هذه الحقوق من حاكمها الأجنبى عفوا منه واحسانا ؟ ٠

ومع ذلك فقد استمرت المؤيد فى مطالبتها بمنح مصر الدستور مبررة ذلك بأنه ليس هناك سبيل للحصول على الدستور ســـوى موافقة الاحتلال على ذلك ، ولكنها حذرت الانجليز من أن معارضتهم فى منح مصر الدستور يملأ قلوب المصريين حقدا على الاحتلال ، ونفورا منه ، ويؤكد لهم نية الانجليز فى ابتلاع البلاد ، وهضـــم

حقوق ابنائها ، وأن انجلترا اذا منعت عن المصريين هذه الأمنية ، فانها تحكم على أجساد قلوبها نافرة تضمر لها غير ما تريد ٠

وقد تصدت المؤيد لحملات الصحف الانجليزية التى اشارت الى أن حصول مصر على الدستور معناه عودة مصر الى تركيا حيث نفت المؤيد امكانية حدوث ذلك مشيرة الى أن المصريين عندما حصلوا على الدستور قبل عام ١٨٨٢ ظهروا بعيدين جدا عن الاتراك ولكنها استمرت خلال عام ١٩٠٦ فى توجيه مطالبتها بالدستور للانجليز وليس للخديو ، برغم استياء الحركة الوطنية من ذلك حيث نشرت خطابا وجهه واحد وعشرون مصريا يقيمون بباريس لتسير ادوارد جراى وزير خارجية انجلترا يطالبونه فيه بالدستور ، وعلقت على ذلك بأن المجلس النيابى هو ضالة مصر الحقيقية ، ويجب عليها أن تنشده دائما حتى تجده ، وانه لا مخلص لمصر من استبداد الأشخاص ، ولا من تطرف السلطة الشخصية سوى الدستور كما أكدت رفضها لأسلوب الثورة كطريق للحصول على الدستور رغم اعترافها بصعوبة الحصول عليه عن طريق الكفاح السلمى ، فالاستبداد غريزى فى الطبع وتنازل الهيئة الحاكمة عن شىء من سلطتها لهيئة أخرى أمر عسير جدا لم تألفه النفوس ، ولكن الأمة المصرية أقرب الأمم الى المسالمة والسكينة ، وما وصلت اليه من الرقى وأصالة الرأى وتمسكها بعرش الخديوية وحسن ظنها بالاحتلال يجعلها أعلى فكرا وأسمى مقاما من أن تطلب مجلسا نيابيا بعنف أو ثورة ٠

وحددت المؤيد الوسيلة للحصول على الدستور فى أن تسعى الطبقة الراقية من الأمة لدى سمو الأمير والحكومة الانجليزية معا بواسطة الصحف والمحادثات الخصوصية وكل الوسائل السلمية المفيدة ٠

كما قامت المؤيد بحملة صحفية في اكتوبر ونوفمبر ١٩٠٦ ، وذلك بمناسبة ذكرى صدور القانون الأساسي لمجلس النواب المصرى عام ١٨٨١ ، أكدت فيها على اهمية الدستور بالنسبة لمصر ففى هذا الدستور حياة الأمة مستقبلا وسعادتها الاجلة ، وفى تحقيق هذه الأمنية على أيدى ممثلى سلطة انجلترا فى مصر أقوى برهان على أنها تريد بنا خيرا ، ولا تنوى أن تجعلنا فريسة لمخالب المستبدين •

وفى اطار هذه الحملة خصص على يوسف احدى مقالاته الشهيرة « قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء » للمطالبة بالدستور ، وقد اعتمد ذلك على أن الشورى من قواعد أحكام الشريعة الاسلامية وأن الشورى وجدت فى الاسلام قبل أن توجد فى انجلترا الدستورية المنظمة ، وأن مصر تطلب فى سنة ١٣٢٤ هـ ما وضع أساسه الاسلام قبل وجود التاريخ الهجرى فى حساب العالم ، كما أكد على أهلية المصريين وكفاءتهم للحكم النيابى مكررا نفس الأدلة التى سبق أن قدمتها المؤيد ، واستخدم حادث دنشواى للتدليل على حاجة مصر للدستور فكل مصرى قد رأى فى هذه الحادثة ماذا تفعل القوة القاهرة من تعدى الحدود فى عقوبة الوطنى ، ولو أن المسيطرين تجاوزوا الحد الذى وقفوا عنده ماصدهم صاد ، ولا وجدوا من غيرهم معارضا ، وكل هذا لأن الشخص الذى غضب يملك أن يضرب أشد الضربات ، ولا رادع له من القوانين التى تردع نفوس الغاضبين ، وما جرى فى دنشواى يصح أن يجرى فى كل حادث يغضب له القوى •

واستمرت المؤيد فى مطالبة الاحتلال بالدستور حيث نشرت رسالة من سبعة مصريين الى اللورد كرومر أبدوا فيها أملهم فى

مراحم الحكومة الانجليزية بألا تبخل على الأمة المصرية بأهم مطلب عزيز عليها .

وقد وجهت المؤيد الشكر لهؤلاء السبعة ، وطالبت كل مصرى بأن يرفع صوته طالبا الدستور النيابى الذى هو الضمانة الوحيدة فى الأمم لسير أعمال حكوماتها بعيدا عن الاستبداد المضر .

كما ربطت بين المطالبة بالدستور والوطنية وأشارت الى أهمية المشاركة السياسية باعتبارها احد مقتضيات الوطنية وأن من مقتضيات الوطنية أن يحرص كل مواطن على التمسك بحريته ، وألا يسمح لأحد بأن يسلبه اياها .

وفى اطار حملتها من أجل الدستور بمناسبة ذكرى صدور القانون الأساسى لمجلس النواب المصرى قبل عام ١٨٨٢ نشرت عدة مقالات بعنوان « تاريخ الشورى النيابية فى مصر » استعرضت فيها تاريخ مجلس النواب ، والقانون الأساسى لهذا المجلس ، ومضبطة الجلسة الأولى له ، ونص القانون النظامى الصادر فىأول مايو ١٨٨٣ .

وطالبت فى نهاية حملتها الصحفية كل مصرى بأن يرفع صوته فى كل آن مطالبا الحكومة وعميد الاحتلال بايجاد دستور نيابى تساعد الأمة بواسطته حكومتها على أداء واجباتها .

ويلاحظ على معالجة المؤيد لقضية الدستور خلال عام ١٩٠٦ ما يلى :

١ ــ زيادة اهتمام المؤيد بالدستور خلال هذا العام من ناحية الكم ، وربما يرجع ذلك الى أن عام ١٩٠٦ قد شهد محاولة توحيد

جهود الوطنيين فى مواجهة الانجليز خلال حادثتى طابا ودنشواى ، وعودة العلاقات بين مصطفى كامل والخديو ٠

٢ ـ استخدام حادثة دنشواى دليلا على حاجة الأمة لدستور نيابى يحمى مصر من استبداد الأشخاص ، وأن حادثة دنشواى قد أظهرت مساوىء الحكم المطلق فى أجل صورها الشائنة ٠

٣ ـ رغم زيادة اهتمام المؤيد بقضية الدستور فانها وجهت مطالبتها به للانجليز وليس للخديو عباس الأمر الذى أثار ـ كما رأينا ـ استياء الوطنيين ولم تطرح المؤيد أى مبررات لهذا الاتجاه ، ويمكن تفسير ذلك بأنها كانت تحاول القاء المسئولية على عاتق الانجليز وليس على الخديو ، وابراز أن الانجليز هم الذين يعرقلون حصول مصر على الدستور ٠

٤ ـ التأكيد على رفضها لأسلوب الثورة والعنف للحصول على الدستور حيث اعتبرت التفكير فى الثورة خيانة للوطن ، وبالتالى فان الوسيلة الوحيدة للحصول على الدستور هى اقناع الخديو والحكومة الانجليزية بهذا المطلب عن طريق رفع المصريين أصواتهم على مسمع من البرلمان الانجليزى والوزارة الانجليزية ، واستخدام الصحف ، وكل الوسائل السلمية ٠

٥ ـ الاستناد الى الشريعة الاسلامية فى المطالبة بالدستور باعتبار أن الشورى من أهم قواعد هذه الشريعة ، وأن الاسلام قد أوجد الدستور قبل أن يوجد فى انجلترا ٠

* * *

المبحث الثالث

المؤيد والدستور

١٩٠٧ ـ ١٩١٥

فى خلال عام ١٩٠٧ أعاد الشيخ على يوسف مطالبة الحكومة بانشاء مجلس نيابى مصرى فى صورة اقتراح قدمه الى الجمعية العمومية مع اضافة عبارة توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ٠

وقد جاءت هذه الاضافة ـ كما يروى على يوسف ـ بهدف تفويت الفرصة على مجموعة من أعضاء الجمعية العمومية دفعهم لورد كرومر لطرح اقتراح بتوسيع اختصاصات مجالس المديريات لتكون الموافقة على هذا الاقتراح بمثابة بديل عن الاقتراح الذى وافقت عليه الجمعية العمومية عام ١٩٠٤ ٠

كما جاء السطر الثانى من هذا الاقتراح جديدا فى كونه يمثل الاتجاهات الدستورية التدريجية الظاهرة اذ ذاك ، والتى تمثل محور اتجاهات حزب الأمة ، الأمر الذى أدى الى قيام محمود سليمان ـ

باشا بالدفاع عن اقتراح على يوسف فى الجمعية العمومية والمطالبة بتأييده ٠

وشهد عام ١٩٠٧ أيضا زيارة الشيخ على يوسف وأحمد حافظ عوض للندن ، وقد أبرزت المؤيد نص خطبتى حافظ عوض وعلى يوسف فى الحفل الذى أقامته اللجنة المصرية البرلمانية لهما فى العاصمة البريطانية حيث دافع حافظ عوض عن حق المصريين فى التمتع بنصيبهم فى حكم بلادهم ، وادارة مصالحهم الخاصة ، وأكد أن الوقت قد حان لتحقيق الخطة التى رسمها لورد دوفرين لاعداد مصر للحكم الذاتى ، وأن المصريين لن يقوموا بأى عمل تشتم منه رائحة الثورة ، ولكنهم يتبعون الوسائل القانونية للحصول على حقوقهم وحريتهم ٠

كما أشار على يوسف الى أنه اقتناعا بالتصريحات الرسمية لرجال السياسة الانجليزية بأن الاحتلال غير دائم قد قصر مساعيه منذ سنين على المطالبة بوسائل رقى الأمة تاركا أمر الاحتلال العسكرى جانبا ، وطالب باعطاء الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين سلطة تشريعية فى كل ما يخص المصريين والمصالح المصرية ٠

ويمكن أن يفسر ذلك التناسب العكسى بين تناول المؤيد لقضيتى الجلاء والدستور ، وزيادة اهتمام المؤيد بقضية الدستور فيما بعد عام ١٩٠٤ ، وهى الفترة التى أوضحنا فى الفصل السابق قلة اهتمامها فيها بالجلاء ، واختفاء حملاتها على الاحتلال البريطانى ماعدا فترة قليلة خلال عام ١٩٠٦ وهى الفترة التى شهدت حادثتى طابا ودنشواى ٠

ويشير ذلك الى ان يأس الخديويين من تحقيق الجلاء ، واعتمادهم على وعود بريطانيا وسيلة وحيدة لتحقيقه كانا العاملين الرئيسيين فى توجيه اهتمامهم الى قضية الدستور بهدف الحصول على نصيب من السلطة والمشاركة فى الحكم ٠

ويختلف هذا الطرح من جانب الخديويين ، عن طرح الحزب الوطنى للقضية فقد كان الحزب الوطنى اكثر وعيا وادراكا للارتباط والتلازم بين مطلبى الاستقلال والدستور ، ويوضح محمد فريد ذلك بقوله : اننا نطلب الجلاء ، ولكن أملنا فى الحصول عليه لا يمنعنا من طلب الدستور والمجلس النيابى من حاكم البلاد الشرعى ، ونحن لانريد من صاحب هذا العرش أن يضحى باستقلال البلاد لاعطائنا الدستور والمجلس النيابى بل نفضل أن نحرم منه مؤقتا على أن نناله بطريقة قاتلة للاستقلال ٠

وهناك مسالة أخرى اثارتها خطبة على يوسف بلندن هى انه اقتصر فى هذه الخطبة على المطالبة باعطاء الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين سلطة تشريعية فيما يختص بالمصريين والمصالح المصرية ، وهذا يشير الى استعداد الخديويين للاكتفاء بتوسيع اختصاصات مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية بدلا من الدستور والمجلس النيابى ، كما يثير الشك فى صحة رواية على يوسف التى أكد فيها أن الاضافة التى الحقها باقتراحه الذى طرحه على الجمعية العمومية عام ١٩٠٧ كانت بهدف تفويت الفرصة على أنصار كرومر فى الجمعية ٠

لكن بعض المقالات التى جاءت فى جريدة المؤيد تشير الى انها تؤيد توسيع اختصاصات المجالس القائمة كخطوة مرحلية حتى يتم التوصل الى تحقيق الهدف الأسمى ، وهو منح مصر الدستور ،

واقامة مجلس نيابى ، حتى يتم تأهيل الأمة للحكم النيابى حيث قالت : ان المصريين يتوافر فيهم قدر من حب الحكم الذاتى ، ولكنه لم يبلغ درجة الكمال ، وانهم اذا رأوا من القابضين على زمـــام أمورهم سعيا لترقية المجالس الحالية نمت فيهم العاطفة العامة ، وأصبحوا أهلا للاشتراك فى ادارة حكومة نيابية ذاتية .

ولكن لا يمكن الاعتماد فقط على هذا التفسير اذ أن القول بأن المؤيد تدافع عن توسيع اختصاصات المجالس القائمة كخطوة مرحلية حتى يتم تأهيل المصريين للحكم النيابى يتناقض مع تأكيدها المستمر على أهلية المصريين وكفاءتهم للدستور .

وقد بدأ اهتمام المؤيد بالدستور يزداد فى أواخر عام ١٩٠٧ ، كما بدأت فى الربط بينه وبين الاستقلال حيث كررت تأكيدها على انها تطلب الدستور النيابى كخطوة فى سبل الاستقلال الكامل حيث قالت : ان مصر عاقلة رزينة لا تطلب الاستقلال بالطفرة ، ولا تلجأ للعنف ، ولكنها تطلب الاستقلال عن طريق الترقى ، وأن الدستور هو الوسيلة الوحيدة لهذا الرقى الذى يحقق الاستقلال .

كما أشارت مرة أخرى الى أن الدستور خطوة ضرورية فى سبيل الاستقلال حيث قالت : اننا يجب أن نذكر انجلترا بوعودهـا بالجلاء عن مصر كلما سنحت الفرصة ، اذ لا يفضل الاحتـلال الأجنبى على الاستقلال الا كل خائن لوطنه ، ولكننا مع هذا التذكير يجب علينا أن نطلب نسخ النظم الاستبدادية التى تجرى بمقتضاها أعمال الحكومة المصرية الآن ، وابدالها بالنظم الدستورية الكافلة لتقدم الأمة وارتقائها فى الأهلية والاســتعداد لأن تحكم نفسـها بنفسها ، ومن المحتمل ان يكون ذلك بهدف التمهيد لاعلان حـزب الاصلاح على المبادىء الدستورية .

وقد أظهرت المؤيد خـــلال عـــام ١٩٠٧ اتجاها ليبراليا فى الترحيب بظهور الأحزاب السياسية والتأكيد على أهمية التعـــدد الحزبى ، وأن هذا التعدد لا يمثل ضعفا فى جامعة الأمة ، ولكنـه يدل على قوتها وصلابتها وأن التعدد الحزبى هو أقوى الوسائل لتحويل الحكومات المطلقة الى حكومات دستورية •

يتضح من ذلك ادراك المؤيد لحقيقة أن المنـاخ الديموقراطى يتطلب وجود الأحزاب السياسية ، وأنه لا يمكن أن توجد دولـــة ديموقراطية دستورية بدون وجود أحزاب سياسية •

وفى خلال عام ١٩٠٨ عبرت المؤيد عن عجز الخديو عباس ، وعدم قدرته على منح مصر الدستور بدون موافقة انجلترا حيـث قالت ان الخديو ميال لاعطاء الأمة المصرية حق مشاركة الحكومة فى أعمالها ، واعطاء حكومته صبغة نيابية ، ومع ذلك اضطر أن يرأس مجلس النظار الذى قرر أن طلب الجمعية العمومية ايجاد مجلس نيابى سابق لأوانه ، وما ذلك الا لأن الحكومة البريطانية تمانع فى ذلك الطلب ، وبناء على هذا تكون المسئولية فى حرمان الشـعب المصرى من حكومة نيابية تقع على عاتق انجلترا التى تسلب خديو مصر سلطته الشرعية بدعوى أنها مؤيدة له ، وتحكم مصر بسلطة الفرد وهى تدعى انها ترقى مصر وتسعدها •

وبذلك أعطت المؤيد أهمية كبيرة لمعارضة الانجليز فى منح مصر الدستور ••

وقد أيدت المؤيد الحزب الوطنى عند قيامه بحركة جمـــع التوقيعات من اجل المطالبة بالمجلس النيابى ، ويرجع ذلك الى أن هذه الحركة قد تمت بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى لنــدن

تكلم مع الملك ادوارد وأظهر له أن الأمة تطالب بالدستور وأنه يرى اعطاءها اياه لأنه حق من حقوقها ، وهى مناورة بارعة من الخديو أراد بها اسكات الحزب الوطنى عن الهجوم عليـــه من ناحية ، ومساومة الحكومة الانجليزية على ما يطلبه هو نفسه من اقالـــة وزارة مصطفى فهمى وحقه فى تعيين الوزراء ٠

وقد وصفت المؤيد حركة جمع التوقيعات بانه عمل حسن فى ذاته يضاف الى قرارات الجمعية العمومية السابقة ، وان لم تكـن لها قوة قرارات الجمعية العموميـــة ، لأن تلك قرارات رسمية من هيئة ذات شأن فى مثل هذه المطالب الكبرى ، وقراراتها مدونة فى المحاضر الرسمية ، وعلى الحكومة واجب نظامى أن تناقشها ايجابا أو سلبا ، أمـا هذه العرائض فيحتمـل أن يلتفت اليها ، ويحتمل أن يكون نصيبها الاهمال المطلق ، على اننا مع هذا نستحسن الدأب على طلب مجلس النواب بكل طريقة سلمية ، وكل صوت يرتفع فى هذا الشأن هو صوت شريف ٠

لكنها مع ذلك هاجمت محمد فريد لأنه يطلب الدســـتور من الخديو ، ويطالب الخديو بعدم استشارة الانجليز فى ذلك حيـــث تساءلت هل يمكن أن ننال مجلسا نيابيا كاملا يصح أن يكون أول قراراته طلب الجلاء ، وارغام الحكومة على تنفيذه والاحتلال موجود فى مصر ؟ بأى قدرة تستطيع الحكومة تنفيذ مثل هذا القرار لو فرض أن الخديو أصغى لنداء الحزب الوطنى ، وأعطى الأمة مجلسا نيابيا لم يستشر الانجليز فى وضع نظامه ، ولم يجعل لهم يدا فى كيفية ايجاده ؟

كما كتب على يوسف مقالين بعنوان واحد هو « متى يرشدون ؟ كيف يطلبون الدستور ؟ وكيف ينجح الطالبون ؟ » أشار فيهما الى أن

للأمة المصرية الحق فى التخلص من مظالم المستبد بكل الوسائل حتى اراقة الدم كما يعالج الجسم ببتر أحد أعضائه أحيانا لسلامة بقية الأعضاء ، لكن ظروف مصر الخاصة توجب عليها تجنب عملية البتر هذه اذ يغلب فيها الخطر على السلامة ، وقد تؤدى الى الموت •

وطالب بعدم احراج الخديو ودفعه الى منح مصر الدستور بدون استشارة الانجليز وقال : أن خطة العقلاء هى أن يطلبوا الدستور من الخديو ، مع السعى والعمل لاقناع الانجليز بأنه قد آن الأوان لاعطاء مصر حكومة نيابية ، لأن الخديو ميال لاعطاء أمته الدستور ، ولكنه يدخر ارادته الى أن تسنح الفرصة ، ولا يقتحم الأمر اقتحاما قد يؤدى الى فشل كبير فى العمل لاتؤمن معه العواقب •

وأشاد على يوسف بتكاليف الاحزاب السياسية فى طلب الدستور ، لكنه استنكر لهجة العداء التى يوجهها المطالبون به لانجلترا لأن اظهار العداء لانجلترا يعطل الحصول على الدستور ، كما استنكر اللجوء الى المظاهرات العامة سلاحا لاكراه الخديو على اعطاء الدستور لأن هذه المظاهرات لاتستخدم الا عند الحاجة الماسة اليها أى عندما تقتضى المصلحة العمل الاكراهى ، ولا معنى لقولهم بأنها مظاهرات سلمية لأن العامة اذا سارت فى تيار المظاهرات الوطنية فانها لا تقف عند حد ، ولا تقدر عواقب الحوادث •

وأكد على يوسف أنه قد اتخذ الدستور قاعدة لعمله السياسى لعلمه أن سعادة ومستقبل مصر موقوفة عليه حيث لايؤمل أن حكومة الفرد تنهض بأمة فى الوقت الذى صار فيه شعار حكومات كل الأمم الدستور النيابى ، ولعلمه أن مصر لايمكن أن تسعد بأسلوب من

الحكم شقيت به كل الأمم ، وأن هذا هو مذهبه الذى لا يحوله عنه محول حتى الممات ، سواء وافق ذلك أميال الخديو أو لم يوافق لأنه يعتقد أن السلطة الشرعية الحقيقية للامة ، وما الحكام الا وكــــلاء عنهــا ٠

كما طالبت المؤيد كل المصريين بأن يحصروا كل قواهــم فى طلب الدستور النيابى لأنه الدواء الوحيد لداء الاستئثار بالسلطة الذى جعل انجلترا تتحكم فى مصر كما تشاء ٠

وقد ردت المؤيد على تقرير السير الدون جورست الذى أكــد فيه عدم استعداد مصر للدستور مبررا ذلك بعدم اهتمام المصريين بالانتخابات حيث قالت : ان دعوى السير جورست غير صـــحيحة ودليله غير مسلم به ، لأن قلة اشتراك الأهالى فى الانتخابات ترجع الى عدة أسباب أولها سوء ادارة الانتخابات نفســـها ، وتقصير الحكومة فى نشر أعمال الانتخابات وأوراقها حتى أنه لايكاد يوجد دفتر انتخاب قانونى فى أى مدينة أو قرية ، وذلك لأن تحرير هذه الدفاتر موكول الى مشايخ الحارات ، وثانيها : وجود فكرة سائدة عند أكثر الناس هى أن هذه الانتخابات لا نتيجة لها اذ أنه لا توجد وظيفة حقيقية لمجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، فقسم عظيم من الأمة المصرية لايهتم بالانتخاب لعــــدم فائدة المجالس النيابية الحاضرة ٠

كما ردت على قول السير جورست : ان التفكير فى ادخال نظام نيابى كامل فى مصر يعتبر ضربا من الحماقة والجنون ، حيث قالت : ان التفكير فى ذلك من الحقوق الطبيعية لكل أمة اذ الأمم فى ذاتها مستعدة بطبيعتها للنظم النيابية التى تقتضى المشاركة الفعلية فى ادارة الحكومة ، فاذا طلبت الجمعية العمومية ، أو طلبت الأحزاب

السياسية المصرية أن يكون لها مجلس نواب تام السلطة فيما يتعلق بمصر والمصريين ، فليس هذا حماقة أو جنونا ٠

المؤيد والدستور التركى :

رحبت جريدة المؤيد بصدور الدستور التركى حيث نشرت نص هذا الدستور وقانون مجلس المبعوثان ، وعبرت عن ابتهاج مصر بهذا الحدث لأنها أيضا تطالب بدستور يجمع شملها ويشركها فى حكم نفسها وتدبير مصالحها ، واستخدمت المؤيد أسلوب الاستمالات العاطفية فى التبشير بأن الخديو سوف يتبع الدول العثمانية ويمنح مصر الدستور لأنـــه على ثقة من رقى الأمة المصـــرية ، وكمال استعدادها للأخذ بنظام الأمم المتمدنة ٠

كما أشادت بالسلطان عبد الحميد باعتبـاره أول ســلطان دستورى فى العالم الاسلامى وهب رعيته الحرية الكاملة وجعـل سلطة القانون فوق سلطة الأشخاص ، واعتلى بذاته المقدسة عن المسئولية فكان كالخلفاء الراشدين فى احترام رأى الجماعة ، واعلاء كلمة الشورى ، وكملوك أوروبا الحاضرين فى الاشــراف على النظام اشراف الحارس الأمين لا المنفذ المسئول ٠

لكن المؤيد بدأت تتجه الى الدعوة لاشتراك مصر فى مجلس المبعوثان التركى باعتبارها احدى الولايات العثمانية وأن الامتياز الذى نالته أسرة محمد على خاص بارث الخديوية ، ومقصور على الحث على حسن ادارة البلاد بما يوافق العدل والنظام ، وليس فى ذلك الامتياز شىء يفصل مصر عن الدولة فى الأمور الأساسية بل ان مصر جارية فى الامتيازات الأجنبية وفى الجمارك على أصل نظام الدولة العلية ، ولو حاولت أن تخرج عن ذلك قيد شبر لوجدت

من أوروبا أقوى المعارضات ، وبالتالى فان للمصريين الحق فى أن ينتخبوا نوابا لهم فى مجلس المبعوثان ٠

لكن المؤيد أشارت الى هدف هذه الدعوة عندما قالت انه اذا لم تصبح حكومة مصر نيابية بعد اليوم ، وجب على أهلها أن يفكروا فى أمرهم ، وأن يدرسوا مسألة اشتراكهم فى مجلس المبعوثان درسا دقيقا ٠

وهو ما يوضح أن اثارة المؤيد لمسألة اشتراك مصر فى مجلس المبعوثان كانت بهدف الضغط على الاحتلال الانجليزى حتى يتخلى عن المعارضة فى منح مصر الدستور ، وقد أوضحنا من قبل أن الصحف الانجليزية قد اتهمت الوطنيين المصريين بأنهم بدعوتهم المستمرة لمنح مصر الدستور يريدون اعادة مصر لتركيا ، وقد نفت المؤيد ذلك مؤكدة أنه ليس هناك أى مصرى يفكر فى اعادة مصر الى تركيا ٠

فلا يمكن تفسير دعوة المؤيد لاشتراك مصر فى مجلس المبعوثان التركى الا بأنها محاولة للضغط على سلطات الاحتلال ملوحة بالسيادة العثمانية حتى لا تعارض فى منح مصر الدستور ٠

ويؤكد صحة تحليلنا لهذه الدعوة ربط المؤيد بين معارضة الانجليز اعطاء مصر الدستور واشتراك مصر فى مجلس المبعوثان حيث قالت : ان المصريين قد طالبوا منذ مدة طويلة بالمجلس النيابى ، لكن القوة المحتلة كانت تضعف من هذا الصوت العالى الذى يطالب بحق له لأنه ليس من مصلحة المحتلين أن يحكم المصرى نفسه ، بل يهمهم أن يظل أبناء النيل فى دائرة الحكم المطلق تسيطر عليهم حكومة ضعيفة الارادة تديرها يد المعتمد البريطانى

مؤتمرا بأمر نظارة الخارجية الانجليزية ، والآن ليس هناك حاجـة للاختلافات بعد أن منح السلطان رعيته المجلس النيابى ، وهذا المنح يشملنا فى معاملاتنا السياسية ، ويلزم بل يتحتم أن ترسل الأمة المصرية أعضاء ينوبون عنها فى مجلس المبعوثان حتى لو اقتصر الأمر مبدئيا على ارسال وفد من أعيان الأمة ، ويقـــوم هذا الوفد بالاحتجاج على الاحتلال الانجليزى الذى أصبح لا معنى له ، ثم يطلب من مجلس المبعوثان منح مصر مجلسا نيابيا داخليا لتحكم نفسها طبقا للفرمانات السلطانية ، ومتى وافق مجلس المبعوثان على هذا الطلب ، فانه يقرر وجوب المنح ، وتتكفل الحكومة العثمانية بنفاذ ذلك القرار ، وينتهى الأمر بفوزنا رضى الانجليز أو لم يرضوا لأنهم أعقل من أن يعارضوا الدولة الدستورية صاحبة الســـيادة على مصر ٠

كما أكدت المؤيد أن الدعوة لاشتراك مصر فى مجلس المبعوثان لاتتعارض مع الدعوة الى أن يكون لمصر دستورها الخاص ومجلس نوابها ، وطالبت كل مصرى بأن يرفع صوته بطلب الدستور لمصر ، لأن بقاء السلطة الشخصية فيها بعد أن تخلى عن هذه السلطة أقوى سلطان فى العالم يعد أكبر عار على مصر والمصريين وحكومتهم وممثليهم ، فبالدستور نستطيع أن نبرهن غدا على حياة قومية نضطر خصومنا الى احترامها ، ولا سبيل الى انتصار أمة ضعيفة على أمة قوية الا بالكفاح العقلـــى الذى تعلن فيه الحقـــائق على رؤوس الأشهاد ، ولا ميدان لذلك الا المجلس النيابى ٠

وقد استمرت المؤيد فى الدعوة لاشتراك مصـــر فى مجلس المبعوثان حيث نشرت تقريرا أعده الشيخ على يوسف ، وعرضه على مجلس ادارة حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية أوضح فيه أن

اشتراك مصر فى مجلس المبعوثان لا يؤثر على امتيـازات مصـر الحقيقية ، وهو السبيل الوحيد للدفاع عن حياة مصر فى المستقبل ، وطالب فيه بأن يسعى المصريون بكل الوسائل النافعة لنيل حقهم المغتصب من الدستور العام للدولة العلية ، وهذا لا ينافى أن يكون لهم دستور خاص أسوة بالممالك المستقلة استقلالا نسبيا فى أمريكا والمانيا ٠

لكن دعوة المؤيد لاشتراك مصـر فى مجلس المبعوثان قد قوبلت بالرفض من جانب أكثر الصحف المصرية ، بل ان الحـزب الوطنى الذى يتهم بالعثمانية رفض هذه الفكرة ، وأتهم الشيخ على يوسف بأنه يريد الانتقاص من استقلال مصـر ، حيث كتب أمين الرافعى مقالا بجريدة اللواء هاجم فيه الفكرة ، وبرهن على أنهـا تنازل عن حقوق مصر وامتيازاتها ، ومنافية لمطالبتها بالاستقلال التام ، وأنها تنازل عن المطالبة بالدستور ٠

وفى خلال عام ١٩٠٩ اتجهت المؤيد الى طـرح عـدد من الاقتراحات التى يستطيع المصـريون من خلالهـا الحصول على الدستور وهى :

١ ـ استقالة جميع أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فى حالة رفض الحكومة لانشاء مجلس نواب على أن تعيد الأمة انتخاب نفس النواب فى حالة اجراء انتخابات جديدة ، وبالتالى يكون هذا دليلا على تمكن الروح النيابية فى جميع طبقات الأمة ، فلا يسع الحكومة مقاومتها ، ولا يستطيع الانجليز أن يقفوا حجر عثرة فى سبيل الحكومة النيابية ٠

٢ ـ امتناع الشعب مرة واحدة عن دفع الضرائب امتناعا لا يقصد منه العصيان على الحكومة بل الجـاؤها الى الاعتراف

بحقوق الأمة الذاتية ، فان آخر مبدأ أصولى للأحرار فى البلاد التى رسخ فيها الدستور ارتباط الحقوق بالواجبات ارتباطا متضـــامنا لانفكاك فيه ، فما دام من حق الأمة الطبيعى أن تراقب وكلاءها فى ادارة شئون البلاد مراقبة عملية نافذة تشخص سلطة اشتراكها مع الحكومة فى ادارة الاعمال ، فمن حقها أيضا ألا تقوم بواجب دفع المال لوكلائها اذا اغتصبوا ذلك الحق وجعلوا أنفسهم سادة على الشعب ولكن هذه الطريقة لاتحتاج الى صياح فى الطرقات كما أنها بعيدة عن الأعمال الثورية لأنها طريقة سلبية كما أن وقتها لم يحن خصوصا أن الحكومة منعطفة الآن على الشعب ويعنيها أن تتفاهم معه تفاهما معقولا ٠

وقد ردد على يوسف بذلك لأول مرة فى الصحافة المصرية ، بل فى الفكر المصرى الحديث كله المبدأ الدســـتورى الذى يقول (لاضريبة بدون تمثيل)

«No taation without representation»

ويبدو أن اقتراح المؤيد الأخير كان له رد فعل ايجابى لـــدى الحركة الوطنية ، بل يمكن القول بأن الحركة الوطنية قد تبنت هذا الاقتراح اذ أن السفير الانجليزى فى الأستانة قد أرسل برقية الى وزير الخارجية البريطانى فى ١٥ مارس ١٩٠٩ أكد فيها ان معظم قادة الحركة الوطنية المصرية فى الأستانة الآن ، وأنهم قد أعلنوا اصرارهم على مطالبهم ، وأصدروا اعـــلانا لجميـــع المصــــريين ينصحونهم فيه بعدم دفع الضرائب حتى يصدر الدستور، وأن هناك تعليمات تهدف الى تهيئة الناس لتقبل الاشارة التى ستصدر فى اللحظة المناسبة بالامتناع عن دفع الضرائب ٠

وقد قارنت المؤيد بين موقف حزب الاصـــــلاح على المبادىء

الدستورية التى تنطق بلسانه ، وموقف الحزب الوطنى من قضية الدستور ، وعرضت الخلافات بين رؤية كل من الحزبين للدستور حيث قالت :

ان من أكبر الفروق بيننا وبين غيرنا أننا اذا طلبنا المجلس النيابى من أمير البلاد لم نخلط بندائنا صوت العداء للمحتلين ، ولا نتردد فى طلب المساعدة عليه من حكومة انجلترا اذ لانرى فى هذه المساعدة اثبات حق لها علينا كما يزعم بعضهم ، وأن حزب الاصلاح يطالب بالمجلس النيابى لأنه سيكون وسيلة لاثبات كفاءة المصريين فى حكم أنفسهم ، وتمهيدا ضروريا للمطالبة بالجلاء ، حيث أنه اذا تبين لأوروبا والدولة المحتلة أننا نجحنا فى الحكم الذاتى خرجت الأخيرة من بلادنا فاذا لم تفعل طالبناها بالجلاء ٠

وقد ظلت المؤيد خلال عام ١٩٠٩ تكرر أن الدستور هو الوسيلة الوحيدة للاستقلال لأن جلاء الانجليز عن مصر لن يتم الا اذا أرغمناهم على ذلك ، وهذا الارغام لايكون الا بقوة قاهرة ، وهذه القوة غير متوافرة لدينا الآن ، وانما توجد اذا نحن ملكنا ادارة البلاد بأيدينا ، وكان لنا دستور ضامن لهذه الملكية ٠

ووصفت مطالبة الحزب الوطنى بالدستور مع اقترانه بالجلاء العاجل بأنها من بهارج الوطنية الخيالية التى تستهوى نفوس العامة ، ولا تقنع الخاصة ، والا فليدلنا الحزب الوطنى على الطريقة لنى توصل الى الحصول على الدستور من الخديو رغما عن لانجليز ، والحصول على الجلاء من الانجليز بمحض اختيارهم ٠

وطالبت المؤيد الوطنيين بالاتحاد فى طلب الدستور لأنه الوسيلة العملية الوحيدة التى توصل الى الجلاء ، وهو الهدف النهائى للحركة الوطنية ٠

يتضح من ذلك أن المؤيد قد ربطت بين الجلاء والدستور ، ولكن ربطها بين القضيتين يختلف عن ربط الحزب الوطنى بينهما ؛ فقد نظرت المؤيد الى الدستور باعتباره أهم مقومات الاستقلال ، وأنه الطريق العملى الموصل الى الجلاء حيث أنه يمكن المصريين من أن يأخذوا السلطة التشريعية والتنفيذية بأيديهم ، وأن يثبتوا كفاءتهم للاستقلال ، كما أنها قد أدركت أن الانجليز يعارضون فى منح مصر الدستور ، وأن الخديو لا يستطيع أن يمنح مصر الدستور بدون موافقتهم ٠

أما الحزب الوطنى فقد ربط بين القضيتين على أساس التلازم ، وأنه يطالب بالجلاء والدستور معا وفى وقت واحد ، وقد وجه مطالبته بالدستور للخديو عباس باعتباره صاحب السلطة الشرعية ، وكان يرى أن الخديو يستطيع أن يمنح الأمة الدستور دون توقف على رضاء انجلترا ، ودون استشارتها ، واذا اضطر الخديو لاستشارة انجلترا ، فان الحزب الوطنى ـ كما يقول محمد فريد ـ يفضل الحرمان من الدستور مؤقتا على نيله بهذه الطريقة القاتلة للاستقلال ٠

أما الخديويون (حزب الاصلاح) فقد نظروا الى الدستور على أنه الوسيلة التى يمكن تحقيق الجلاء من خلالها ، وكان تركيزهم على المطالبة به نتاجا ليأسهم من تحقيق الجلاء ، وبالتالى كان من الطبيعى أن يركزوا كفاحهم على المطالبة بالدستور للحصول على نصيب فى الحكم ، وتحقيق الجلاء على المدى البعيد ٠

أما الحزب الوطنى فان الجلاء هو قضيته الأولى ، وهو على استعداد لأن يضحى بالدستور فى سبيلها ٠

وقد ردت المؤيد على محاولة السير جورست فى تقريره عام ١٩٠٩ التقليل من أهمية المطالبة بالدستور باعتبار أن المطالبين بالحكم النيابى هم فئة قليلة من طبقات المتعلمين ، حيث أكدت أن كل الرأى العام فى مصر يطالب الدستور ، وان شذ بعض الناس عن ذلك ، فلابد أن يكونوا من موظفى الحكومة الذين ينافقون الانجليز ٠

وقد رفضت المؤيد اقتراح جورست بتوسيع اختصاصات مجالس المديريات واعتبرت أن هذا الاقتراح يدل على أن الاحتلال لايريد مطلقا أن تصل البلاد المصرية الى درجة تحكم فيها نفسها بنفسها ، وأن غرض الانجليز من هذا المشروع هو اقامة الحوائل الزمنية فى طريق المطلب الحقيقى للامة المصرية وهو الدستور ٠

كما أبرزت استقالة عبد الحميد البكرى من عضوية مجلس شورى القوانين احتجاجا على اتهام السير جورست للمجلس بأنه لم يظهر أدلة على استعداد المصريين للحكم الذاتى ، وطالبت المؤيد جميع أعضاء المجلس بالاستقالة منه حتى لايبقوا مشتركين فى مجلس يعتبر عند الانجليز سببا فى عدم اعطاء الأمة الحكم الدستورى ٠

ولكنها استمرت فى التحذير من الثورة كوسيلة لتحقيق الدستور ، حيث قالت : ان المصريين يجب أن يعملوا للحصول على الدستور ، ليس عن طريق الثورة ، ولكن بطريقة العمل الدائم مع الاحتياط الكلى ٠

وفى الوقت نفسه اتجهت الى مهاجمة انجلترا واتهمتها بأنها تؤسس فى مصر مبدأ الاستبداد ، وأن المعتمد البريطانى يمثل فى مصر حكومة الفرد ، وأن الحكومة الانجليزية تقف فى وجه مصر ، ـ

وتصدها عن التقدم الحقيقى والرقى الصحيح بمنعها من نيل نصيبها من الحكم الدستورى ، ولذلك ازداد نفور المصريين من الانجليز وسخطهم عليهم فى السنين الأخيرة التى تنورت فيها الأمة ٠

وبمناسبة انتخابات مجالس المديريات قامت المؤيد بحملة صحفية هاجمت فيها الحكومة المصرية ، واتهمتها بأنها تبعد الاكفاء عن الترشيح للانتخابات باشتراط دفع الرسوم الباهظة حيث ان اشتراط أن يدفع عضو مجلس المديرية خمسين جنيها عوائد أملاك أو ضريبة اطيان هو تعجيز للطبقة المتنورة فى الأمة ، وأنه قد آن الأوان للتخلص من تحكم اللوردات المصريين فى الشئون العامة ، واستعمال ثرواتهم للوقوف أمام الاكفاء ، ويجب أن نعلم أن حزب المحافظين على القديم هو عنوان التأخر والتقهقر ٠

كما كررت هجومها على طبقة الأغنياء ، ووصفتها بالجبن والخوف وحذرت من سيطرتها على المجالس النيابية حيث قالت : اننا اذا اتبعنا طريقة الا يدخل مجلس المديرية أو شورى القوانين الا من يملك الألوف من الفدادين ، وجعلنا الثروة شرطا أساسيا لنواب الأمة نكون كمن قدم السلاح لعدوه لغمده فى صدره ، فانه اذا دخل هذه المجالس من لاكفاءة عندهم كان ذلك حجة للانجليز على اننا لانصلح لحكم أنفسنا بأنفسنا ٠

وقد وجهت المؤيد بذلك ضربة مباشرة لطبقة كبار ملاك الأراضى المتعاونة مع الاحتلال ، والتى لايهمها الدستور ، وتتخذ المال وسيلة للوصول الى مقاعد المجالس التى أقامها الاحتلال كمجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وهو اتجاه تقدمى من جريدة المؤيد حتى لو فسرنا ذلك بأنه كان

نتاجا لتجربة الشـــيخ على يوسف الشخصية حيث ان محكمة الاستئناف الاهليـــة قد أبطلت انتخابه عضـــوا بمجلس شورى القوانين لأنه لم يدفع خمسين جنيها عوائد أملاك فى مدينة القاهرة كما أوضحنا فى الفصل الثانى ٠

وقد أشادت المؤيد خلال عام ١٩١٠ بتكاليف الاحزاب السياسية المصرية فى طلب الدستور حيث ان مما يسر كل مصرى أن جميع الأحزاب المصرية المعروفة صارت متفقة على ذلك الطلب المقدس ، وقد أصبحت هذه الروح عامة عند المصريين خاصتهم وعامتهمبعدأن كانت قبل بضع سنوات مقصورة على فئة قليلة ٠

كما ظلت تؤكد على أهلية المصريين للحكم النيابى ، وتقدم الأدلة والبراهين عليها مبررة ذلك الاتجاه بأن أقوى سلاح عند الانجليز يحتجون به ضدنا ويجيبون به كل طلباتنا هو أننا فى حالة من التأخر والجهل لا تسمح لنا بالحكم النيابى ، وأن نسبة المتعلمين لا تزيد على بضعة عشر فى المائة ، ولكن هذا الكلام مردود عليه بأدلة تاريخية قياسية ، فلو راجعنا تاريخ الحكم النيابى عند معظم الأمم الراقية لوجدنا أن هذه الأمم ماكانت اذ ذاك فى درجة من التمدن ولا من العلم أعلى ولا مماثلة لما عليها الأمة المصرية الآن ٠

كما استمرت المؤيد فى سياستها القائمة على التأكيد على ان الاحتلال البريطانى هو العقبة الأساسية فى سبيل حصول مصر على الدستور والتأكيد على أن الخديو عباس دستورى التربية والأخلاق ، ويحب أن يحكم بلاده على مقتضى المبادىء الدستورية ، ولكن يجب ألا ننسى أن فى البلاد احتلالا أجنبيا يرى من وظيفته أن يتدخل فى ادارة البلاد ، وأن يشرف عليها ، وأن هذه الوظيفة لا تبطـــل الا بالجلاء ٠

كما استمرت فى هذه الاتجاه خلال عام ١٩١١ أيضا معتمدة على تكرار الفكرة بهدف تأكيد أن الانجليز هم الذين يعارضون فى منح مصر الدستور ، وأن الخديو عباس لايستطيع أن يمنح أمته الدستور بالرغم من رغبته فى ذلك الأمر الذى يوحى بأن المؤيد كانت تحاول بذلك نفى تهمة الاستبداد عن الخديو ، وكسب التأييد الشعبى له ، والقاء المسئولية على الانجليز ٠

كما استمرت أيضا فى توجيه مطالبتها بالدستور للانجليز مبررة ذلك بأن وجود مصر السياسى مرتبط بتحقيق الحكم الدستورى فيها ، فاذا نحن تولينا ادارة شئوننا بأنفسنا ، وبرهنا على كفاءتنا فسوف يعترف الأوصياء علينا رغم أنوفهم بأهليتنا ، واستحقاقنا أن نستقل بحكم أنفسنا ٠

وقد كان عام ١٩١٢ بداية هبوط حاد فى اهتمام جريدة المؤيد بقضية الدستور ، فقد اقتصرت على ابراز خطبة الخديو عباس فى الجمعية العمومية ، التى قال فيها : ان الحكومة الخديوية توجه اهتمامها للبحث عن الوسائل اللازمة لتحسين أحوال النظام النيابى العام وجعله مطابقا لمصلحة البلاد ، وعلقت على هذه الخطبة بأنها تأمل الا يجىء دور انعقاد ثان للجمعية العمومية حتى يكون قد حل محلها مجلس نواب تام السلطة فيما يتعلق بمصر والمصريين ٠

وقد جاء ضعف اهتمام المؤيد بالقضية مع بداية عام ١٩١٢ كنتاج لضعف الحركة الوطنية ، وتعيين اللورد كتشنر معتمدا بريطانيا فى مصر ، وضعف الخديو عباس ، واستسلامه أمام ارهاب كتشنر أضف الى ذلك أن مد حركة المطالبة بالدستور كان قد انحسر بسبب ما لحق الحركة الوطنية من تمزق نتيجة الفتنة الطائفية التى

أعقبت اغتيال بطرس غالى ، وما ترتب عليه من تنكيـــل الحكومة بالحزب الوطنى ومصادرة صحفه ، والـــزج ببعض قادتـــه فى السجون ٠

كما ارتبط ذلك ايضا بتخلى الشيخ على يوســف عن تحرير جريدة المؤيد على اثر صدور قرار الخديو عباس بتعيينه شــيخا للسجادة الوفائية فى ٥ مارس ١٩١٢ ٠

وفى أول يــوليو ١٩١٣ تم الغاء مجلس شـــورى القوانين والجمعية العمومية وصدر قانون نظامى جديد انشئت بمقتضــــاه الجمعية التشريعية التى لم تختلف كثيرا عن التنظيمات السابقة من حيث مقوماتها واسسها وطبيعتها الاستشارية ٠

وقد رفضت المؤيد القانون النظامى الجديد ووصفته بأنه جاء ناقصا لا يقنع الأمة ، ولا يؤدى لها ماكنت تتطلع اليه من الآمـــال النيابية والتقدم فى مدارج الدستور الحقيقى ، ولهذا السبب لم تحفل الطبقة الراقية من الأمة بالقانون النظامى الجديد لأنها اعتبرته نسخة من النظام القديم ٠

ولكن رغم هذا الموقف فان المؤيد أخذت تتابع انتخابات الجمعية التشريعية داعية الى انتخاب الاكفاء لعضوية الجمعية وقالت : ان من يعطى صوته لغير كفء لايقل اثما عمن يخون بلده ، كما أبدت تخوفها من أن تكون الأغلبية لمن يكون الضرر فى وجودهم اكثر من النفـــع ، أو لمن يتخذون الكراسى وســـائد ينامون عليها نوما عميقا ٠

كما نقلت المؤيد عن مراسليها فى الاقاليم أن حكام الأقاليم قد أصبح لهم القول الفصل فى انتخاب من يريدون انتخابهم للجمعية التشريعية ، وانهم لا يريدون أن تكون الانتخابات حرة آخذة مجراها

الطبيعى فيما وضعوه من تقسيم لدوائر الانتخاب فى المديريات . وأن هذا مناف لحرية الانتخابات ٠

وقد رحبت المؤيد بانتخاب سعد زغلول عضـــوا بالجمعية التشريعية ، وقالت ان انتخاب سعد جاء رغما عن الحكومة التى قاومت أن يكون للامة رجال أكفاء ، وما كانت خطة الضغط فى سياسة الحكومات القوية ازاء الشعوب الناشئة فى مبادىء الحكم النيابى الا سببا فى تقوية بواعث الآلام فى النفوس ٠

كما رحبت المؤيد بوجود المعارضة التى تزعمها سعد زغلول فى الجمعية التشريعية حيث قالت : ان المعارضة واجبة فى كل مجلس نيابى ، بل لا يمكن أن يوجد مجلس بدونها حتى ان بعض الحكومات اذا لم تجد فى مجلسها النيابى حزبا للمعارضة سـعت بنفســها لتكوينه ، وذلك ليتسنى لها أن تكتشف حقيقة كل مشروع بالمناقشة فيه سلبا أو ايجابا ، فالمعارضة واجبة وهى لاتدل على انشقاق أو انقســام ٠

لكن المؤيد وجهت بعض النصائح المحافظة لأعضاء الجمعيــة التشريعية حيث طالبت أعضاء الجمعية بعدم التشــبث بالمســائل السياسية التى يشتم منها روح عدائيــة للمحتلين ، والا يتأثروا بالعوامل التى تجذبهم ذات اليمين وذات اليســار ، وتؤدى الى الاصطدام بالاحتلال ، كما طالبت النواب بأن يكونوا مع الحكومة على وفاق ووئام ينظرون الى المصلحة العامة نظرة المنقب الباحث لا المتعنت المتعسف ٠

وقد أبرزت المؤيد الخلاف الذى ثار فى الجمعية التشريعية حول من الذى يرأس الجلسة فى حالة غياب الرئيس ؟ الوكيـــل

المنتخب أم الوكيل المعين ؟ لكنها حاولت التقليل من أهمية المسألة ، والوقوف على الحياد مقترحة أن يتولى الرئاسة أكبر الوكيلين سنا لأنه لا وجه لتفضيل أحدهما على الآخر ، فكلاهما وكيل فى نظر القانون وفى الواقع وان كانت الحكومة تأبى بعد ذلك الا أن تكون الرئاسة للوكيل الذى تعينه فما عليها الا أن تنصب أكبر شيوخ زمانها سنا فى هذا المنصب حتى لا يزاحمه مزاحم ٠

ومع ذلك فان المؤيد أعلنت انحيازها لسعد زغلول حيث طالبت أعضاء الجمعية التشريعية بأن يتقدموا بالأمة الى الأمام بتغليب صوتها فى كل موقف وأن يردوا لها حقا من حقوقها ٠

وقد انتهت مطالبة المؤيد بالدستور خلال عام ١٩١٤ نتيجة لاعلان الحرب العالمية الأولى واعلان الاحكـــام العرفية وخلـــع الخديو عباس ٠

أما فى خلال عام ١٩١٥ فانها لم تذكر الدستور سوى مرة واحدة فى معرض ترحيبها بتعيين السير آرثر مكمـــاهون معتمدا بريطانيا فى مصر حيث طالبته بـأن يكافىء الأمة المصرية على ما أظهرت من كمال الخلق فى هذه الظروف الحرجة بالتعجيل بتعديل القانون النظامى تعديلا يجعل الشورى حقيقية فى هذه البلاد ٠

* * *

المبحث الرابع

جريدة المؤيد وقضايا الحريات

ترتبط المطالبة بالدستور ارتباطا وثيقا بقضايا الحريات الشخصية والعامة وتعتبر نظرة الجريدة للحريات واهتمامها بها محكا لاختبار جدية مطالبتها بالدستور ، اذ أن الحياة الديمقراطية تتطلب النص على حماية هذه الحريات في الدستور •

وبالرغم من اهتمام جريدة المؤيد بقضية الدستور خلال الفترة من ١٩٠٤ حتى بداية عام ١٩١٢ كما أوضحنا من قبل ، فان اهتمامها بقضايا الحريات كان ضعيفا الى حد كبير ، ويمكن حصرها فى بعض الاشارات القليلة والمتفرقة •

فقد أشارت المؤيد الى حرية الفكر باعتبارها من أهم المميزات التى ميز الله بها الانسان عن باقى الحيوانات ، وأنه ليس فى استطاعة أية قوة أن تحجر على الانسان أن يفكر فى أى شىء كان مهما عظمت تلك القوة ، وهذه الحرية هى التى تجعل الانسان مستقلا إى ليس منقادا لعامل آخر ، وهى أجل حق طبيعى منحته الحكمة

الالهية لأفراد هذا النوع لما يترتب عليه من حرية التصرف بحق فى جميع الأعمال ، غير أن هذه المنحة الطبيعية التى قلنا عنها انه ليس فى استطاعة اية قوة أن تتسلط عليها يمكن أن تجرى عليها الاحكام بالواسطة بمعنى أن تلك القوة الخارجية تحجر على الانســـان أن يبدى اراداته وفكره أو أن يتصرف فى الأمور بمقتضاها بحجـــة أنها منحرفة أو خارجة عن حدوده وواجباته ٠

أى أن السلطة ـ فى رأى المؤيد ـ تستطيع أن تفرض قيودا على حرية الرأى لكنها لا تستطيع فـرض هذه القيود على حـــرية الفكر ٠

وقالت المؤيد : ان الأمة لاتعد فى مصاف الأمم الا اذا قويت فيها ارادة الرأى العام الذى هو بمنزلة فكر الانسان وحرية ضميره ، ولا تتحقق ارادة هذا الرأى العام الا اذا تصرفت بمقتضاه فى جميع أعمالها ، وهذا الرأى العام لا يوجد بدون حرية التصرف ٠

وقد أشارت المؤيد الى الحرية الشخصية حيث وجهت اللوم الى حزب الأمة لأنه ترك فى برنامجه أهم قاعدة تبنى عليها الأحزاب عملها وهى الحرية الشخصية ، وبالرغم من ذلك فان برنامج حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية لم يتضمن أى اشارة الى الحرية الشخصية أو الحريات العامة ٠

ولكن المؤيد أشارت مرة أخرى الى الحريــــات الشخصية يطتها بالحريات العامة حيث قالت : ان الحرية الشخصية للافراد ى أساس سعادتهم كما أن الحرية السياسية للامـــم هى أساس سعادتها ، ولا يمكن أن توجـــد حرية سياســـية اذا فقدت الحرية الشخصية لأن الانسان اذا كان لا يستطيع أن يذهب حيث شــاء

ويعمل ما يشاء فيما يخص حياته الفردية لا يمكنه من باب أولى أن يتمكن من حريته السياسية ، فينال حقوقه المدنية فى أمته ·

والذى يمعن النظر فى تواريخ الأمم المستعبدة والحكومات المستبدة يجد أن الغرض من سلب حرية الأفراد الشخصية انما هو سلبهم الحرية السياسية لأن هذه الحركة هى التى تضايق الحكومات المستبدة وتصدها عن اتباع هواها ·

كما أشارت المؤيد الى أن احترام المصريين للحريات السياسية والحرية الدينية من أهم الوسائل التى يمكن أن تحقق الرقى الأدبى لمصر وبالتالى يمكن أن تحقق هدفهم فى نيل الدستور ·

حريـة الصحافـة :

أما حرية الصحافة فقد نالت قـدرا كبيرا من اهتمام جريدة المؤيد من الناحية الكمية ورغم أن المؤيد ـ كما أوضحنا فى الفصل الأول ـ قد تعرضت لاضطهاد السلطات البريطانية واستخدام قانون المطبوعات ضدها حتى عام ١٨٩٤ ، الا أن موقفها من حرية الصحافة قد اضطرب بشكل كبير ، واتسم بالتذبذب والتلون ·

فقد استنكرت المؤيد فى عام ١٨٩٤ الانـذار الذى وجهته حكومة نوبار باشا الى جريدة « الجورنال اجبسيان » حيث قالت : ان جميع الذين يفهمون معنى حرية الصحف ، ومنفعتها للامة لم يكبروا هذا العمل من نظارة الداخلية ، ووصفت حرية الصحافة بأنها بمنزلة القوت والقوة للجرائد ·

لكنها فى عام ١٨٩٩ هاجمت حرية الصحافة حيث قالت : اننا اذا ذكرنا نعمة حرية الصحافة ، فلا ينبغى أن ننسى النقمة التى حطت علينا بكلكلها من جراء هذه الحرية ، فقد كان لسلطاننا الأعظم

وخديوينا المعظم وأمرائنا وعظمائنا كرامة مقدسة ، وحرمة أبعد منالا من العنقاء ، ثم ماذا جرى على تلك الكرامة وهذه الحرمة من تلك الحرية ؟ ، والذى يعد الصحف فى البلاد يجدهـــا تربو على المائة ، ولكن الذى يريد أن يستقصيها قراءة لايستطيع أن يتم من بينها عشرا يحسبها من نعمة الحرية ، والبقية الباقية جريمة الحرية التى لا تغتفر ، ولو أن المؤيد وأمثاله من الجرائد المفيدة لم توجد الآن ولا تلك السموم القتالة وآلات الفساد التى تقطع أوصال الأمة فى كل طبقة من طبقاتها لكانت البلاد أسعد حالا وأنعم بالا وأحفظ لنعمة أسمى مكانة من هذه الحرية بدرجات ٠

أى أن المؤيد كانت تفضل التضحية بحرية الصحافة لا بـــل التضحية بوجودها ذاته فى سبل حماية كرامة الخديو عباس ٠

وقد استمرت المؤيد فى مهاجمة حرية الصحافة حيث قالت فى عام ١٩٠٢ ان حرية المطبوعات فى مصر قد أصبحت فوضى ، وأصبح أصحاب الشرف والمال والعرض يتمنون لو يوجد قانون جديد للمطبوعات يغير الحالة الحاضرة بأحسن منهـــا ، ويكفل الأمن واتقاء شر أولئك الفسدة السبابين اللعانين أعداء الفضيلة المسيئين للامة بالاعتداء دائما على كرامتها ، ونخشى ان دام هذا الحال آن تطلب الأمة بأسرها يوما ما أن تمحى هذه المطبوعات من الوجود ٠

كما أبرزت مطالبة بعض أعضاء الجمعية العمومية للحكومة بسن قانون للمطبوعات وعلقت على ذلك بأن هذا الاقتراح نافـــع للامة لأنه تضمن أن تخابر الحكومة قناصل الدول الأجنبية فى وضع قانون للمطبوعات يسرى على الوطنيين والأجانب معا ٠

وبررت تأييدها لهذا الاقتراح بأن بعض الكتاب قد خلطوا بين حرية المطبوعات وفوضاها ، وأن الأمة فى حاجة الى قانون المطبوعات يحمى الأعراض من القذف والسب ، وحتى لا تحدث هيصبة فساد فى أخلاق الأمة المصرية حديثة العهد بالتعلم والتربية العصرية ·

لكن المؤيد عارضت اقتراح مجلس شورى القوانين عام ١٩٠٤ اعادة العمل بقانون المطبوعات حيث قالت : ان هذا القانون لايفيد الأمة لأنه لا يمكن تطبيقه على الأجانب ، ووظيفته هى تضييق نطاق حرية المطبوعات فى البلاد ، وهى اذا فقدناها خسرنا أعظم ربح لنا أصبناه فى هذا العهد الأخير ·

وقد خصص على يوسف احدى مقالاته الشهيرة « فى قصر الدوبارة بعد يوم الاربعاء » للحديث عن حرية الصحافة باعتبارها السلاح الوحيد الذى يوجد فى يد الوطنى ، بعد أن استولى الاحتلال على كل نفوذ فى الحكم بواسطة المستشارين ، ولم يبق حرا فى مصر سوى الصحافة فهى موضع أمل المصرى ·

واستنكر ما تردد عن نوايا كرومر فى تقييد حرية الصحافة على أساس انه لا يجوز معاقبة الصحافة المصرية عموما بجريرة صحيفة واحدة تطرفت فى حدتها من أجل مصلحة وطنها ، ولكن اذا أراد كرومر أن يراقب الجرائد ، واقتضى ذلك منع الجرائد الوطنية من التطرف فى تنفير الأمة من الاحتلال ، ونتج عن هذا الظلم مراقبة الجريدة التى تغتنم كل فرصة لتجرح العواطف الوطنية — يقصد جريدة المقطم — فلا بأس من ذلك لأن مصر اذا خسرت حرية جرائدها المطلقة ، فانها تربح على الأقل خلاصها من لهجة مؤلمة

لعواطف الأمة وسهام مؤذية توجهها كل يوم جرائد الاحتلال أو بعضها ٠

ويتضح من ذلك أن المؤيد تستحسن فرض الرقابة على الصحف المصرية بشرط مراقبة جريدة المقطم التى تؤذى عواطف الخديو ، وهو نفس الموقف الذى عبرت عنه عام ١٨٩٩ ٠

ويلاحظ أن تبعيتها الكاملة للخديو عباس جعلتها لا تعالج موضوع حرية الصحافة باعتباره حقا من حقوق الأمة ، وأنها قاعدة من أهم قواعد الحياة الديمقراطية والدستور الذى تطالب به ، وأن رغبتها فى حماية سمعة الخديو وكرامته قد تغلبت على النظرة الموضوعية لحرية الصحافة ، وأوجدت هذا التناقض بين مطالبتها بالدستور ، ونظرتها لحرية الصحافة ٠

وقد جاءت مرحلة الوفاق بين الخديو والانجليز بتغيير مهم فى العلاقات بين القوى ، فقد تحولت المقطم الى الاشادة بالخديو عباس وتأييده فى حين اتجهت صحف الحزب الوطنى الى مهاجمة الخديو حتى كانت ترميه بخيانته لوطنه ، والاتفاق مع الانجليز ضد مصالح الأمة ، فضاق الخديو بهذه الحملات وسلم بالنظرية الانجليزية فى سن القانون ، بل أضحى هو صاحب الرغبة والسعى فى ذلك ، فكلف بطرس غالى بالتعجيل فى تنفيذ هذه الفكرة واستقر الرأى على بعث قانون ١٨٨١ ٠

لكن الشيخ على يوسف نصح الخديو عباس بعدم اعادة هذا القانون حيث أنه يسىء الى الجميع من حيث الحرية التامة ، وسنحتاج لاستعمال هذه الحرية فى وقت ما فلا نجدها ، فأجابه الخديو بأن المخابرات بيننا وبين انجلترا قد تقدمت تقدما عظيما ولا يمكننا الرجوع الى الوراء ٠

ويشير أحمد شفيق الى أن الخديو قد تراجع عن موقفه وطلب من على يوسف التفاوض مع بطرس فى عدم تنفيذ القانون ، ولكن بطرس غالى استاء من تقلب أفكار الخديو ، كما أصر جورست على تنفيذ القانون ٠

ورغم موقف على يوسف وتحذيره للخديو من اعادة العمل بقانون المطبوعات فانه يمكن أن يلاحظ على موقف الجريدة من اعادة العمل بهذا القانون ما يلى :

١ ـ محاولة تحميل الحزب الوطنى وصحفه مسئولية اعادة العمل بهذا القانون حيث ان انجلترا قد رأت أن المتطرفين قد لعبوا بأفكار العامة كما شاءوا حتى كادوا أن يحدثوا ثورة داخلية ، وان لدينا صحفا لا تقف عند حد الانتقاد والتشهير ، ولكنها أيضا تكذب ، ومع ذلك فان المصيبة هى مصيبة الأمة فى أعظم وسائل رقيها وسعادتها واستقلالها المنشود ٠

٢ ـ استنكار اعادة العمل بقانون المطبوعات حيث نشرت نص البرقية التى ارسلها حزب الاصلاح الى الخديو يعلن فيها استياءه من هذا القانون ، ويطالب الحكومة بالعدول عنه ، كما أكدت أن هذا القرار قد قوبل بالاستياء العام من كل الطبقات حتى من الموقعين على القرار أنفسهم ٠

ولعل المؤيد تقصد بذلك الخديو عباس فى محاولة لالقاء المسئولية فى اعادة العمل بهذا القانون على الانجليز حيث حاولت الايحاء بذلك ، وان هذا القرار كان بايعاز الدولة المحتلة ، واكراه الوزارة على تقريره ٠

٣ ـ رغم تأكيد المؤيد ودفاعها المستمر عن أهلية المصريين وكفاءتهم للحكم النيابى فانها شككت فى أهلية المصريين لحرية

الصحافة حيث قالت : ان الناشئة المصرية لاتزال حديثة السن قليلة الاختبار عاجزة عن التمييز بين الخير والشر فى المسائل الخطيرة ، وتعجبت من الذين يريدون لمصر على حداثة عهدها بالصحافة ما لم يتوافر لانجلترا فى القرن الثامن عشر ، فقد قضى البرلمان يومئذ بمراقبة الصحافة ، وكان يعاقب كل من يطعن على ولى الأمر ويدعو الى الفتنة ، ومع ذلك يطالبون اطلاق حرية التهور فى مصر ٠

٤ ـ استخدام رسائل القراء فى تأييد القانون حيث نشرت رسالة موجهة الى الشيخ على يوسف بتوقيع « محب للحرية » قال فيها : ان حرية الصحافة كانت سيفا فى يد نحو عشرة من الصحفيين يضربون به رقاب ملايين كما نشرت رسالة أخرى بتوقيع « طالب حقوقى » قال فيها : ان قانون المطبوعات يوقف الاقلام عند حد القول الصحيح ، وعدم التطرف الى سب الأشخاص ٠

٥ ـ نقل مقالات الصحف الانجليزية التى تؤيد اعادة العمل بقانون المطبوعات ، وتهاجم صحف الحزب الوطنى ٠

٦ ـ بالرغم من تظاهر المؤيد بالحزن على اعتبار أنها كانت أكثر الجرائد تعرضا لعسف الاحتلال خلال الفترة السابقة من تطبيقه قبل عام ١٨٩٤ ، فانه قد انكشف موقفها المؤيد للقانون تماما حيث قالت : اننا نحمد الله على المصيبة الصغرى بالنسبة للمصيبة الكبرى التى كانت منتظرة بسبب تهور هؤلاء الطائشين . وهى الضرب على حرية الأمة بأجمعها وسلبها تلك البقية الباقية لها من الاستقلال ، واننا لا نرى فى ذلك القانون ضررا كبيرا ، فهو صاحب الفضل فى القضاء على المظاهرات السخيفة ، والكتابات المفسدة للاخلاق والآداب ٠

٧ ـ التأكيد أن اعادة العمل بقانون المطبوعات ليس من نتائج سياسة الوفاق ، بل من نتائج اندفـــاع المتطرفين الى الحد الذى لاتحمد عاقبته ٠

ويمكن تفسير موقف المؤيد من قانون المطبوعات على النحو التـالى :

١ ـ بالرغم من أن على يوسف قد حذر الخديو من اعــادة العمل بهذا القانون ، ووافقه الخديو على ذلك ، وتراجع عن موقفه ، فان المؤيد قد أصبحت ملتزمة بتأييد القانون نتيجة لتبعيتها الكاملة للخديو ، واعتمادها على تمويله ٠

٢ ـ كان على يوسف يعلم تماما الجهة المقصود بهـــا هذا القانون ، وهى الحزب الوطنى ، ولا شــك أن العـــداء الذى كان مستحكما فى ذلك الوقت بين الشيخ وجماعته والحزب الوطنى قد أشاع احساسا بالارتياح والسرور لما عناه هذا القانون له من تحطيم أعدائه ، وبالتالى فان الاحتجاج الذى أرسله حزب الاصلاح الى الخديو لم يكن الغرض منه سوى الظهور بمظهر المدافـــع عن الحرية والسير فى التيار العام ٠

* * *

الفصـــل الســادس

المؤيد وقضايا الاصـــلاح الاجتماعى والاقتصادى

المبحث الأول

المؤيد والتعليم

كانت قضية التعليم احدى اهم القضايا التى ركز عليها الوطنيون كفاحهم بعد قضيتى الاحتلال والدستور ، وبينما سعى الاحتلال البريطانى الى السيطرة على وزارة المعارف لتحقيق أهدافه الاستعمارية فى خلق جيل جديد من المصريين يؤمن بالتعاون مع الاحتلال ، وقصر التعليم على الناحية المهنية ، وعدم الاهتمام بالثقافة العامة ، بهدف اضعاف الطبقة الوسطى المثقفة التى حملت لواء الحركة الوطنية ضد الاحتلال ·

كانت الحركة الوطنية واعية ومدركة للنوايا الاستعمارية ، وبالتالى فقد أعطت قدرا كبيرا من اهتمامها لقضية التعليم ·

ولقد لعبت جريدة المؤيد باعتبارها لسانا لتحالف القوى الوطنية قبل عام ١٩٠٠ دورا مهما فى فضح نوايا الانجليز الاستعمارية ، ومهاجمة سياسته التعليمية ·

وقد هاجمت المؤيد قصر أهداف التعليم على اعداد موظفى الحكومة مؤكدة أن الهدف من التعليم هو تحقيق مجد الأمة وكرامتها وليس شغل الوظائف الحكومية التى يكفيها القليل من الناس ٠

كما ربطت بين انتشار التعليم والاستقلال باعتباره الهدف الأعظم للحركة الوطنية حيث قالت : ان المصريين يحسون بعظيم حاجتهم الى انتشار التعليم والمعارف ، ويعلقون عليها آمالهم فى المستقبل ، وأن كلمة « مصر للمصريين » لن يتحقق لها معنى الا اذا انتشر التعليم بين أفراد الأمة ٠

ومن هذا المنطلق طالبت المؤيد بتعميم التعليم فى جميع انحاء البلاد ، والترغيب فيه بافتتاح الكثير من المدارس ، والنفقة على الفقراء الذين يحبون التعليم ، ولا يجدون ما يعينهم على نواله ٠

كما طالبت الخديو عباس بمناسبة توليه العرش بالعمل على تعميم التعليم لأن لكل أمة ضرورات قومية اكبر من شق الترع وتعديل الضرائب والافتخار بزيادة الأموال الاحتياطية فى خزائنها ، ومن أهم تلك الضرورات نشر التعليم بين العامة والخاصة ٠

وكان أول مقال تنشره المؤيد لمصطفى كامل يتناول قضية التعليم ، وقد رد فيه على حجة نظارة المعارف التى استندت اليها فى اغلاق بعض المدارس ، وهى نقص المال ونقص المعلمين حيث طالبت بفرض ضريبة سنوية على كل مصرى قدرها قرشان ، ومن هذه الضريبة يمكن تحصيل ١٢ مليونا من القروش ، وهو ما يكفى لانشاء ٢٨٠ مدرسة ابتدائية ، كما طالب بالعناية بمدرسة دار العلوم ومدرسة المعلمين ٠

وقد تفاخرت المؤيد باهتمامها بقضية التعليم ، وقالت : انها تعبر بذلك عن آمال الأمة المصرية التى انحصرت فى كسب المعارف ، وتحصيل العلوم ، وأن المؤيد يعرف أن مستقبل البلاد موقوف على انتظام سير المعارف فى البلاد ٠

وطالبت المؤيد بتعميم التعليم مبرزة ذلك بأن المعرفة حق من الحقوق الطبيعية لكل فرد من أفراد العالم ، وكل طالب لهذا الحق يجب أن يساعد من الأقوى منه بقدر الامكان ٠

كما أظهرت المؤيد وعيها وادراكها لنوايا الانجليز وغرضهم من السيطرة على وزارة المعارف حيث قالت : ان النظارة التى أضر بها النفوذ الانجليزى أكثر من كل نظارة سواها هى نظارة المعارف، وان الانجليز يعملون دائما لاغلاق المدارس من جهة ونشر لغتهم من جهة أخرى ، وأن غايتهم من ذلك هى محو كل احساس وطنى من القلوب ، وبالتالى فان الاحتلال الانجليزى جاء أعظم عائق للامة عن السير فى طريق التقدم والمدنية وان المدارس فى ظل الاحتلال قد أصبحت أعظم آفة لافساد أخلاق الشباب بسبب نشر الأفكار المنافية للشعور القومى ٠

التعليم العالى :

وجهت جريدة المؤيد الأنظار الى محاولات الانجليز هدم مدارس التعليم العالى وتخريبها بهدف هدم أساس المعارف تبعا لسياستهم الاستعمارية فى كل أمة ، وانهم يعملون بذلك على أن تفقد مصر الأساتذة والمعلمين والعلماء والخبراء ، وبالتالى يضيع مستقبلها لأن الأمم الجاهلة لا تعرف طريقا للخلاص من العبودية ٠

وقارنت المؤيد بين حال التعليم العالى قبل الاحتلال وبعده حيث أكدت أن الانجليز قد خربوا مدارس الطب والمهندسخانة ، والمدرسة الحربية ، ومدرسة الحقوق ، ومدرسة الفنون والصنائع ، ومدرسة الزراعة ، وأنهم عبثوا بكل مدرسة يخرج بعدها الناشئون الى طور تطبيق العلم على العمل ٠

واستعرضت تاريخ هذه المدارس مؤكدة أنها كانت مزدهرة قبل الاحتلال ، كما هاجمت قرار نظارة المعارف بفصل بعض الاساتذة المصريين فى مدرسة الطب ، ونسبت هذا القرار الى الانجليز ، وقالت : انهم بذلك يهدفون الى الاستيلاء على مرتبات وأرزاق أهل البلاد ، كما هو شأن الاحتلال الأجنبى فى كل بلد ٠

كما أشارت الى ضعف المستوى العلمى للاساتذة الانجليز القائمين على التدريس فى مدرسة الطب ٠

ادارة معارف أهلية :

دعت المؤيد خلال عام ١٨٩٨ الى انشاء ادارة معارف أهلية مستقلة بعيدة عن سيطرة نظارة المعارف الانجليزية ، وعن تأثير الحكومة التى يسيطر عليها الانجليز لكى تقوم بتعليم التلاميذ المصريين ، لأن حياة الأمم فى استقلالها بنفسها ، وما الاستقلال للامة الا استغناؤها بمعارفها وصناعتها ٠

واقترحت تمويل هذه الادارة من أموال الأوقاف المخصصة للتعليم بالاضافة الى التبرعات التى يمكن جمعها عن طريق اكتتاب عام ، كما اقترحت استخدام المدرسين المصريين الذين تستغنى عنهم نظارة المعارف ٠

- وقد أيد مصطفى كامل هذا المشروع ودافـــع عنه مؤكدا أن التعليم فى مصر قد انحط انحطاطا هائلا ، وأن المعلمين المصريين يعانون من سوء المعاملة ، وكذلك التلاميذ الذين يذهبون الى المدرسة وكل منهم يتوقع الطرد ، وأن مقصد الانجليز فى نظارة المعارف هو قتل العواطف الوطنية ٠

واستمرت المؤيد فى طرح دعوتها لانشاء ادارة معارف أهلية مستقلة والدفاع عنها ، وتأكيد أن هذه الادارة المستقلة سوف تعيد آمال المصريين فى تحسين مستقبلهم ، وتبث روح المعارف الحقيقية ، والآداب الاسلامية الصحيحة ٠

كما أكدت أنها سوف تظل تكرر دعوتها وتدافع عنها حتى تعلم الأمة المصرية أن استسلامها أمام أطماع الانجليز فى نظارة المعارف خطر على مستقبلها ٠

ولكن يبدو أن الفكرة لم تجد قبولا عاما ، وقد اعترفت المؤيد بذلك حيث قالت : انه قد ظهر من الرسائل العديدة التى تلقيناها منذ أشهر استعداد الكثيرين من كرام القوم للاكتتاب بمبلغ سنوية متى أنشئت تلك الادارة الاهلية ، ولكن بعض الأفراد والجماعات قــد شرعوا فى انشاء مدارس أهلية دون أن يوجد بينهم التضامن الذى كنا ندعو اليه ، والذى يتمثل فى انشاء ادارة معارف أهلية ٠

المدارس الأهليـــة :

وعلى اثر فشل دعوتها لانشاء ادارة معارف أهلية اتجهت المؤيد الى الدعوة لانشاء المدارس الاهلية ، ووصفت انشاء المدارس بأنه أشرف عمل تخدم به الأمم ، كما وصفت مؤسسى المدارس بأنهم هم الذين ينفخون روح الحياة فى الأمة ٠

لكنها رغم ذلك انتقدت سير العمل فى المدارس الأهلية لأنها تحذو حذو مدارس الحكومة فى نموذج تعليمها ، وعدد سنوات الدراسة مع نقص كثير فى وسائل الصحة والرياضة البدنية .

وطالبت بزيادة سنوات التعليم فى المدارس الأهلية عن المدارس الحكومية ، والتركيز على اللغة العربية والدين مع العناية باللغات الأجنبية والعلوم الأخرى ، وتأهيل الخريجين من المدارس الأهلية للاعمال الحرة لأن الوظائف أصبحت أضيق أبواب الرزق لهم .

اللغة العربية :

قام الاحتلال البريطانى باحلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى المدارس المصرية ، وجعلها لغة التدريس فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وقد تنبه الوطنيون لما يرمى اليه الاحتلال من وراء ذلك ، فأكدت جريدة المؤيد أن الذى يهم المصرى الآن هو أن يحافظ على لغته الأصلية ليتقى بذلك نتائج تفرق الكلمة ، أو انفكاك عروة الاتحاد ، وأن أول واجب على كل مصرى أن يقوى هذه الوحدة الجامعة ، ثم يتعلم بعد ذلك ما تدعو اليه الحاجة والضرورة وأن غرض الانجليز من نشر لغتهم بين الأمة المصرية هو نزع عواطفهم الشريفة من قلوبهم تمهيدا لبسط سيطرتهم عليهم ، واخضاعهم لسطوتهم توصلا الى مايرومون من تخليد احتلالهم لهذا القطر ، ولو كان الاحتلال يريد بنا خيرا لاهتم بتعميم التعليم فى جميع الطبقات ، ولكن كيف يقدم على مثل هذا ، وهو يعلم أن نجاحه فى جهلنا ، وأن الأمة التى لامرشد لها من العلم ، ولا رائد من المعارف أقرب الى التهالك والتفانى ؟ .

واستنكرت المؤيد قيام الاحتلال الانجليزى بفرض اللغة الانجليزية كمادة أساسية على قسم المعلمين العربى بمدرسة دار العلوم ، وقالت ان هذا يبين أن الانجليز لا هم الا أن يجعلوا كل شىء فى مصر انجليزيا لتصبح مصر كلها بعد ذلك انجليزية ، فالواجب على المصريين مع هذا أن يفكروا فى الطريقة التى تحفظ جامعتهم ومبادئهم الملية والقومية ·

واتهمت المؤيد الاحتلال بالعمل على اماتة اللغة العربية ، وتدريس تاريخ الأمتين المصرية والعربية بغاية الاختصار ، ولايختار منه الا ما هو مذل لنفوس الطلبة ، وبالعكس تاريخ انجلترا الذى يدرس بشكل تتجلى فيه عظمة الانجليز ، وذلك كله بهدف تربية ناشئة ذات مبادىء وميول انجليزية ·

وربطت المؤيد بين دعوتها للمحافظة على اللغة العربية والاستقلال وكررت تأكيدها على أن اللغة هى أكبر رابطة تجمع شمل الأمة ، وأن الأمة التى تفقد لغتها تفقد استقلالها ، مستخدمة أسلوب تكرار الفكرة أكثر من مرة بهدف حث الوطنيين على انشاء المدارس التى تكفى لتعليم أبناء البلاد علومهم بلغة دينهم ·

وقد أبرزت المؤيد اقتراح الجمعية العمومية عام ١٩٠٢ بأن تكون اللغة العربية هى أداة التعليم الرئيسية فى المدارس الابتدائية والتجهيزية والعالية ، وأن تكون اللغات الأجنبية دروسا لغوية فقط ·

كما قامت بحملة صحفية ضد دنلوب مستشار نظارة المعارف الانجليزى متهمة اياه بأنه يعمل على تعميم دروس اللغة الانجليزية لأنه يرى أن من الواجب على المصريين أن ينشأوا انجليزا من صغرهم ·

المدارس الأجنبية :

قام الاحتلال بتشجيع المدارس الأجنبية بهدف خلق طبقة تتسم بالارستقراطية فى ثقافتها الأجنبية ، يمكن أن تتعاون مع الاحتلال ، وقد تنبهت الحركة الوطنية لذلك حيث هاجمت المؤيد المدارس الأجنبية ودعت الوطنيين الى عدم ارسال أبنائهم الى هذه المدارس لأنه لايخفى على عقلاء الأمة ما فى زوايا المدارس الأجنبية من النوايا السيئة فهى لاتمول من ميزانية بعض الحكومات الا لبث نفوذها فى الشرق ٠

كما أشارت الى النوايا الاستعمارية من وراء انشاء هذه المدارس حيث قالت : ان الدول الغربية ما طمحت الى الاستيلاء على بلد فى قارة افريقيا أو فى الشرق عموما الا قامت بارسال مرسليها الدينيين لافتتاح المدارس ، ولكى يمهدوا لها طريق الاستعمار ٠

مجانية التعليم :

كان التعليم فى مصر حتى عام ١٨٨٢ مجانيا فى أقسامه الثلاثة الابتدائى والثانى والعالى ، لكن الاحتلال ألغى مجانية التعليم بالتدريج فى مدارس الحكومة ، ورفع رسوم الدراسة ٠

وقد برر دنلوب زياة رسوم الراسة بأنه يريد أن يحصر التعليم فى أبناء السراة الأشراف ، حتى لا يدخل معهم أبناء الفقراء الأدنياءفيفسدوا أخلاقهم ٠

وقد استنكرت المؤيد حجة دنلوب واتهمته بأنه لم يرد بهذا العمل خدمة الأمة ، ولكنه أراد به خدمة الاساتذة الانجليز لزيادة راتبه ورواتبهم ٠

ودافعت المؤيد عن أبناء الفقراء الذين حرمهـــم دنلوب من المجانية حيث قالت : ان أبناء الفقراء أشد ذكاء ونبوغا من أبنـــاء الأغنياء الذين يقضون الليل والنهار بين الكأس والطاس والمفاسد والملاهى ، ويبذلون ثروة جمعها آباؤهم باجتهاد وذمة ، أو بغش وتدليس فيما لايفيد دينًا ولا دنيا وان الأغنياء لجهلهم وغرورهـم لا يعرفون للعلم قيمة ، ولا يتبرعون بالمال لنشر العلوم .

وطالبت الحكومة بأن تجعل مدارسها الأميرية التى ينفق عليها من مال الأمة للعامة لا للخاصة بحيث لاتجعل حائلا ما يحول بين الفقير والتمتع بنصيبه من ذلك الحق العام فى المدارس الحكومية وأنه اذا أراد الأغنياء تعليم أبنائهم على نمط خاص ، فعليهـــم أن ينشئون مدارس خاصة لأبنائهم تكون نفقتها عليهم لا على الحكومة ، ولا من جيب الغنى والفقير على السواء كهذه المدارس الأميرية .

وأكد حافظ عوض على صفحات المؤيد أن التعليم والتربيـة بالنسبة للانسان كالخبز والماء والهواء ، ولذلك دعا الى تعليـــم الفقراء ، وطالب الأغنياء بالمشاركة فى ذلك لا حبا فى الفقراء ، ولارحمة بالضعفاء ، بل لأن مصلحة الاغنياء والاقوياء فى مساعدة الفقراء والضعفاء ، ومن أكبر المساعدات النافعة تعليم هؤلاء الفقراء وتهذيبهم لأنهم اذا لم يهذبوا ، ولم يربوا لا يعرفون كيف يخدمون الأغنياء ، وكانوا سببا فى نكد عيشهم .

وتكشف مقالات حافظ عوض التى نشرتها المؤيد فى تلك الفترة عن موقف جماعة الخديو من الدعوة الى مجانية التعليم ، وأن هذه الدعوة لم يكن المقصود منها تقرير حق الفقراء فى التعليم ، وأنها كانت محاولة لطرح أفكار اصلاحية تهـــدف الى المحافظـــة على امتيازات الطبقة التى التفت حول الخديو حيث يقول حافظ عوض :

ان الاشتراكيين والفوضويين واللصوص والقتلة والمجرمين الذين ينغصون على الأغنياء حياتهم هم فقراء لم يساعدهم الأغنياء وجهلاء لم يعلمهم العلماء ، فشبوا بلاء على أنفسهم ، وبلاء على من لم يخلصهم من بلائهم ، فاذا قام فرد من الأغنياء بتعليم الفقراء فانه لايخدم أولئك المساكين فقط ، بل يخدم نفسه أيضا ، ويخدم الأغنياء أمثاله ·

لكن المؤيد حذرت فى تلك الفترة من الامتيازات الطبقية ، واتهمت الانجليز بأنهم يعملون لزيادة هذه الامتيازات فى مجال التعليم ، وتفاخرت بأنها تنطق بلسان الفقراء حيث هاجمت دنلوب مستشار نظارة المعارف الانجليزى واتهمته بأنه يفكر دائما فى أقرب الوسائل التى تقتل فقير مصر ، فقد رأى أن يحجر على الفقير فلا يتعلم الا فى الكتاتيب لتصبح مصر كالهند بين الغنى منها والفقير بون شاسع فى العلم والمال ، وليصير الفقير رقيقا للغنى بمحض الضرورة لا ينفعه ذكاء ، ولا يقدمه جهد ولا عمل ، فعلينا معشر الفقراء أن نستعد لملاقاة العذاب القادم ، ونتأهب للموت الوارد الينا من نظارة المعارف ·

كما هاجمت قرار دنلوب باغلاق جميع المدارس الثانوية والاقتصار على خمس مدارس فقط ثلاث فى القاهرة وواحدة بالوجه البحرى وأخرى بالوجه القبلى حيث قالت : ان مصروفات القسم الثانوى فى هذه المدارس لايقدر على دفعها الا كاسب بغير تعب ، أو وارث لا يعلم مصدر ميراثه ·

وردا على هذا القرار وجهت المؤيد نداء الى الأغنياء وطالبتهم بلسان الأمة وشبانها المفتقرين الى التعليم ، وتثقيف العقول ببذل المال اللازم لانشاء مدرسة أو مدرستين ثانويتين حرصا على مستقبل معظم الشباب الذين يحصلون على الشهادة الابتدائية ، والذين هم

لفقرهم ، ولفداحة المصروفات بمدارس الحكومة يقضون بقية حياتهم بين مشتغل بوظائف صغيرة فى الحكومة ومتردد على القهاوى .

كما طالبت الحكومة بالنظر فى تعليم الطبقات الفقيرة لأن الطبقة الغنية أقدر على النظر فى شئونها الخصوصية والقيام بتربية أولادها من الطبقات الأخرى ، واعتبرت أن الغاء المجانية نقطة سوداء فى تاريخ وزارة المعارف ، وأن الحكومة قد جنت على الأمة جناية فظيعة ، وارتكبت اثما لا يغتفر لأن الحكومة تعلم أن التعليم روح التقدم وحياة الأمم ، ومع ذلك أوصد قيصر المعارف أبواب المدارس فى أوجه الطلاب ، ورفع أجورها ، وقصرها على أبناء الأغنياء فى الأمة ، فقضى بذلك على الفقراء المساكين الذين يرجى منهم للامة أضعاف ما يرجى من أبناء الأغنياء .

وقد استمرت المؤيد فى الهجوم على الاحتلال الذى ألغى مجانية التعليم بهدف تحقيق حلمه فى استعمار مصر ، والدعوة الى انشاء مدارس مجانية لتعليم أبناء الفقراء ، واعتبرت أن ذلك من أهم الطرق الموصلة لاستقلال مصر .

لكن المؤيد وقعت فى تناقض ظاهر خلال عام ١٩١٣ بين مطالبتها المستمرة خلال الفترة السابقة بتعليم أبناء الفقراء ، ومطالبتها بالبحث فى عدم تعليم الطبقة الدنيا التعليم الراقى حتى لا تتغلب المطامع على النفوس غير العالية .

الكتاتيب :

اتجه الاحتلال البريطانى الى انشاء الكتاتيب ، وكان هدف الاحتلال من ذلك تحويل الانتباه عن اهماله لمراحل التعليم الأخرى .

وقد تنبه الوطنيون لأغراض كرومر حيث وصفت المؤيد سياسة الاحتلال القائمة على الاقتصار على تعليم القراءة والحساب فى الكتاتيب ، وقصر التعليم العالى على حاجة الحكومة من الموظفين بأنها سياسة خرقاء قاضية ببقاء الأمة فى وهدة التأخر والانحطاط ٠

وقالت المؤيد : ان غرض الاحتلال من هذه السياسة هو التفاخر بارتفاع نسبة الذين يقرأون ويكتبون واعداد موظفين لوظائف الحكومة الثانوية وبقصر التعليم على هذين الغرضين ينعدم أولئك الذين يبغضهم ، ويمقتهم كل احتلال أجنبى ، وهم أمثال الكاتب البليغ والخطيب والمحامى والقصصى والمخترع والباحث ، والهدف من هذه السياسة هو أن تبقى الأمة مدى الدهور والأزمان فى طور القصور لاغنى لها عن القيم الذى يدير أمورها على الدوام ، وهذا القيم بالطبع هو الاحتلال ، وكل قيم على ورثة قصر أغنياء لا يريد أن يرشدوا ٠

واستمرت المؤيد فى تكرار تفسيرها السابق نفسه لسياسة الاحتلال التعليمية ومسألة الكتاتيب مؤكدة أن الاحتلال يريد أن يتخذ من نشر الكتاتيب دليلا على ترقى مصر الأدبى ، كما يتخذون من احصاءات الجمارك دليلا على الترقى المادى ٠

وقد خصص على يوسف احدى مقالاته الشهيرة « فى قصر الدوبارة بعد يوم الاربعاء » للحديث عن التعليم مكررا التفسير السابق نفسه حيث قال : ان أكبر لعبة أظهرتها سياسة الاحتلال فى التعليم لتبهر بها أبصار الوطنيين والأجانب هى لعبة انشاء الكتاتيب فى البلاد ، وهى لعبة لا يستطيع انسان أن يقف فى طريقها لأنها مظهر من مظاهر نشر العلوم الابتدائية فى البلاد ، ولو اقترنت بالاخلاص لكانت بمثابة وضع الحجر الأول فى بناء تعميم

التعليم الاجبارى ، ولكن المعيب فى هذه اللعبة أنهـــا أقرب المرياء منها لشرف القصد ، وأن سياسة التعليم الجارية فى البلاد الآن غير مفيدة لتكوين أمة ينبغ فيها العلماء فى كل فن ٠

وكرد فعل لسياسة الاحتلال التعليمية وجهت المؤيد نداء الى الأعيان والأغنياء أن يقوموا بانشاء المدارس الحرة ، خاصة المدارس الثانوية والعالية لأن من المســتحيل أن تخرج الحكومة المصرية عن المنهج الذى رسمه الاحتلال للتعليم الرسمى مادام هو صاحب القوة والنفوذ ، ومن المستحيل على الاحتلال طبقا لتقاليد كل السلطات الأجنبية على الأمم أن يمنحنا بيده ما نشاء من نور العلم وحياة العرفان ، لأننا بعد ذلك نطلب كل حق للانسان فى قومه وللأمة فى وطنها ٠

لكن المؤيد رغم ادراكها ووعيها بأهداف الاحتــلال من وراء انشاء الكتاتيب فانها قــد اتجهت فى بعض الأحيان الى تأييد انشاء الكتاتيب ووصفها بأنها نهضة شريفة ، ولو أن هذه النهضة من محض شعور الأهالى لقلنا ان الأمة أحســت بالمســئولية الكبرى الملقاة على عاتقها ، فقامت قومة واحدة لتنفض عن عاتقها غبــار التقصير ، ولكنها نهضة صناعية جاءتها من حث رجال الحكومة وحضهم عليها ، وهم لم يفعلوا ذلك من أنفسهم ، ولكن بايعاز من السلطة العالية المحتلة فى البلاد ٠

الصراع بين سعد زغلول ودنلوب فى وزارة المعارف :

جاء تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف كاحدى نتائج الحملة التى شنتها الحركة الوطنية على الاحتلال البريطانى عقب حادثــة دنشواى ، فقد حاول الانجليز ارضــــاء الوطنيين بهــذا التعيين ، وابعاد سعد زغلول عن مشروع الجامعة الأهلية ٠

وقد رحبت المؤيد بتعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف واجرت حديثا صحفيا معه ، كما ناصرت سعد فى صـــراعه مع دنلوب مستشار وزارة المعارف حيث هاجمت دنلوب الذى « أخذ فى تدبير المكائد ودس الدسائس لعرقلة مساعى الناظر الجديد سعد زغلول ، الذى يريد صالح الأمة » .

وأكدت أن دنلوب قد قضى على آمال الكثيرين بسبب استبداده بشئون نظارة هى حياة الأمة ومصدر اســتقلالها ، وقــد عمـت الشكوى منه وشعر بها الكل من أمى الى متعلـــم قضى تحت نير استبداده سنى سجنه فى مواطن تجهيز أبناء الوطن لأعمال الحكومة التى لاتحتاج الى تفكير .

وتساءلت المؤيد أما آن للانجليز أن يعلموا أن جميع المصريين يعرفون عدم كفاءة دنلوب لمنصبه هذا بل لاقل المناصب العلمية ، وأنه خالى الوفاض الا من شهادة صغيرة بسيطة تعادل ما يعطى عندنا لفقهاء الكتاتيب ، وأنه شديد العداء لمصر والمصريين ، وان انجلترا لم توصم فى تاريخ احتلالها لمصر بمثل بقاء رجـــل هذه صفاته ، وجعله متصرفا فى أمة بأسرها ؟ .

المصريون والانجليز فى وظائف التدريس :

كان من نتائج سيطرة الانجليز على وزارة المعارف استخدام مدرسين انجليز يتقاضون مرتبات مرتفعة ، واضـــطهاد المدرسين المصريين الذين كانوا يتقاضون مرتبات ضئيلة ، ويلاقون معـــاملة سيئة مما جعل التدريس مهنة غير مرغوب فيها بالنسبة للمصريين وحد من التحاق الطلبة بمدارس المعلمين .

وقد هاجمت المؤيد استخدام الانجليز فى وظائف التدريس فى المدارس المصرية ، ووصفت المدرس الانجليزى بأنه جامد الاحساس غليظ القلب ، لا يبعث فى قلب المتعلم ميلا اليه ، وكثيرا ما يعامل الطلبة بقسوة ، ويتهجم بالطعن على أخلاقهم وتاريخهم ودينهم ، مما ينفر منه التلميذ ، ويبعث فى صدره ضيقا حتى يتمنى اليوم الذى يفارق فيه وجه أولئك المعلمين ، وكثير من المعلمين الانجليز لا يصلحون لتعليم العلوم التى خصصوا لها لأنهم ليسوا من متخرجى مدارس المعلمين فى انجلترا ٠

كما هاجمت المؤيد عملية اختيار المدرسين الانجليز للتدريس فى المدارس المصرية حيث قالت : ان نظارة المعارف لاتنظر الى جدارة المدرس الانجليزى ولا الى أهليته للقيام بها ، اذ ترى من كان فى بلاده عسكريا أصبح مدرسا كيماويا ، ومن كان معماريا أصبح مدرسا قانونيا ، حتى وظائف الفقهاء لو كنت فى مصاف الوظائف ذات المرتبات السمينة العالية لعين لها نفر من الانجليز لتدريس علم الفقه والقرآن الكريم ٠

وكشفت المؤيد عما يعانيه المدرسون المصريون حيث بررت عدم اقبال الطلبة على مدارس المعلمين بأنهم يعرفون أنهم فى هذه المدرسة يقعون تحت سلطة دنلوب وأذنابه ، وأنهم عند حصولهم على الشهادة النهائية يقضون بقية حياتهم تحت هذه السلطة الدنلوبية ، حيث لا يتعدى مرتب الواحد منهم ١٥ جنيها فى النهاية العظمى ، ويقاسى أنواع العذاب فى الليل والنهار الى أن يشيب راسه وينحنى ظهره ، وبالاضافة الى قلة المرتبات والرضا بالفقر طول العمر فانه يعانى من استبداد دنلوب الذى يدحرجه بيديه كما يدحرج الكرة من الاسكندرية الى أسوان ٠

مشاركة الطلبة فى العمل السياسى :

اختلفت رؤية المؤيد لموضوع مشاركة الطلبة فى العمل السياسى تبعا لمواقفها السياسية ، فقد دافعت عن هذه المشاركة خلال عام ١٨٩٨ ، وهاجمت الانجليز الذين وضعوا مادة فى قانون نظارة المعارف تمنع الطلبة من الاشتراك فى أى احتفال أو مظاهرة أو اكتتاب ، وتعاقب أى تلميذ يشترك فى هذه الاعمال بالطرد من المدرسة ٠

وفسرت المؤيد وضع هذه المادة بأن الانجليز يريدون قتل العواطف الوطنية ، واعدام كل احساس شريف عند الناشئين ، واذا كان أساس التعليم فى المدارس هو قتل العواطف الوطنية ، فلماذا يامعاشر المصريين ترسلون أبناءكم الى مدارس الحكومة ؟ أتريدون أن يكونوا خداما للانجليز ، وعبيدا لأعداء الوطن ؟

ولكن تغير موقف المؤيد من مشاركة الطلبة فى العمل السياسى خلال فترة الوفاق بين جورست وعباس ، حيث استنكرت قيام الطلبة بالمظاهرات ضد الاحتلال ، ومن أجل المطالبة بالدستور ، ونصحت الطلبة بأن يجعلوا اشتغالهم بالأمور السياسية مقصورا على الاهتمام بها وتعرفها وأن يتجنبوا كل عمل له صلة مباشرة بالسياسة ، ووصفت هذه المظاهرات بأنها كالعمل على تخريب حصن المصالح الوطنية ، وأن انصراف التلاميذ الى التقدم فى العلوم التى يتلقونها هو الطريق الذى يجعل زمام المستقبل فى يد هذا الشباب ، وأن حل المسألة المصرية متوقف على هدوء المصريين وعدم تعقيدهم اياها بهذه المظاهرات ٠

الجامعة الأهلية :

دعا أحمد حافظ عوض ١٩٠٣ الى انشاء « مدرسة كلية » ، وفى عام ١٩٠٥ نشرت المؤيد مقالا بتوقيع (ز) دعا فيه الى تشييد

معهد علمي كبير تدرس فيه كل العلوم اللازمة لنهضة الأمم ، ويضاهى أعظم كلية فى البلاد المتمدنة ·

وبعد هذه الدعوة بشهر واحد أثار أحمد حافظ عوض مناقشة حول أيهما أكثر افادة للامة ؟ مشروع الكتاتيب أم انشاء جامعة ؟ وطرح حافظ عوض سؤالا طالب الجرائد بالبحث فيه هو هل الأنفع للامة انشاء جامعة أم كتاتيب لا تعلم أبناء البلاد أكثر من القراءة والكتابة ؟ ·

وأعلن حافظ عوض رأيه فى المقال نفسه حيث أيد انشاء الجامعة ويشير حسين فوزى النجار الى أن حافظ عوض ـ وهو من رجال المعية ـ كان يكتب بايعاز من الخديو عباس ليكشف للرأى العام حقيقة ما يرمى اليه كرومر من التوسع فى انشاء الكتاتيب ·

وقد اشترك فى المناقشة عدد كبير من الكتاب ، فقد نشرت المؤيد ١٥ مقالا طوال شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٠٥ ، وفتحت صفحاتها لمؤيدى مشروع الجامعة ومعارضيه ، وقد ركز مؤيدو مشروع الجامعة على الربط بين هذا المشروع والاستقلال والتقدم وأكد أحدهم أن حاجة المصريين للجامعة أكثر من حاجتهم الى الاستقلال الذى ينشدونه لأن الاستقلال مع الجهل لايفيد ، والاستقلال لايمكن أن يضيع فى وجود الجامعة ، وأن الجامعة هى مصدر العلم الحقيقى الذى يعلى منزلة الأمة ، ويضعها فى منزلة الأمم الغربية ·

وطالب مؤيدو الجامعة الحكومة بأن تنفق من خزانتها على انشاء الجامعة بعض ما أنفقته على خزان أسوان لأنه اذا كان فى خزان اسوان حياة الزراعة ، فان فى الجامعة حياة النفوس وحياة العمران ·

كما طالبوا المصريين بأن يقوموا بانشاء الجامعة بدون انتظار تعضيد الحكومة لأنه متى أقمنا الجامعة فقد أقبل الاستقلال يطلبنا بنفسه ، فهذه أمريكا لم تتحرر الا بعلومها وتمدنها ٠

وهاجم مؤيدو الجامعة مشروع الكتاتيب وسخروا منه مؤكدين أن الهدف منه هو اطالة أمد الاحتلال ٠

كما عارض عدد من الكتاب مشروع الجامعة ، وايدوا مشروع انشاء الكتاتيب مبررين ذلك بأن مشروع الكتاتيب له فوائد عامة موافقة لظروف الزمان والمكان والسكان ، أما مشروع الجامعة فلم تتهيأ له الأمة بعد ، وان من الضرورى تعميم تربية الشعب ، وتنوير ذهنه ليكون أفراده فى مستوى واحد من ادراك الحوادث اليومية ، وان مشروع الجامعة خطر كبير على الأمة لأنه يحصر التعليم فى فئة خاصة ، ويقسم الأمة الى قسمين كما فى روسيا ، قسم متعلم مثر وقسم جاهل فقير ٠

وقد حسمت جريدة المؤيد المناقشة بالدعوة الى الاستمرار فى مشروع الكتاتيب ، وتخصيص الأموال التى يقوم بجمعها العمد ومشايخ البلاد لمشروع الكتاتيب ، مع دعوة الأغنياء فى العاصمة ، ومدن الاقاليم الى الاجتماع وتاليف لجان لجمع التبرعات والاكتتاب بالمال الكثير لانشاء كلية جامعة يقصدها النابغون الذين تضيق عليهم مدارس الحكومة العالية ٠

ولكن بالرغم من أن فكرة انشاء الجامعة كانت تراود عددا كبيرا من الأذهان ، وكانت موضع اهتمام الناس ، فان الفكرة لم تخرج الى حيز الواقع الا على يد مصطفى كامل الغمراوى عندما نشر نداء فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٦ داعيا لفكرة الجامعة مهيبا

بالقادرين من الأمة التبرع لانشاء الجامعة ، وقد تلقف الخديو عباس الدعوة ، فأوعز الى الشيخ على يوسف بأن يحمل الى صاحبها تأييده وتشجيعه ويطلب اليه الاستمرار فيها ٠

وقد نشرت المؤيد دعوة الغمراوى ووجهت له الشكر لأن صوته قد دل على حس شريف نتمنى أن يكون مثله موجودا عند كثيرين من أبناء القطر وكل صوت يعلو الآن بطلب انشاء الكلية هو صوت شريف ، وكل يد تمد لمساعدة هذا المشروع هى يد شريفة ٠

كما دعت المؤيد الى تكوين لجنة من المصريين المتعلمين للسفر الى أوروبا وأمريكا لدراسة الجامعات والكليات الموجودة بها حتى يتوصلوا بفضل المشاهدات الحسية الى نظام وترتيب الكلية المزمع انشاؤها فى مصر ، وتكوين لجنة أخرى لجمع التبرعات لأنشاء الجامعة ٠

كما تابعت المؤيد نشر قوائم بأسماء المتبرعين لانشاء الجامعة وقيمة التبرعات ، كما نشرت رسالة من حسين باشا السيوفى يقترح فيها ضم المبالغ التى جمعت لانشاء شركة الجريدة الى مشروع الجامعة لأن البلاد أكثر حاجة الى انشاء الجامعة أما الجرائد السياسية فلدينا منها عدد كاف لحاجة البلاد ٠

وقد استخدمت المؤيد أسلوب الاستمالات العاطفية لحث الناس على التبرع لانشاء الجامعة ، وطالبت أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية بأن ينهضوا مع الناهضين ، أو فى مقدمتهم لمشروع الجامعة المصرية الذى هو أقوى أساس يوضع لترقية مستقبل مصر ترقية صحيحة بالعلوم الناضجة والآداب العالية ، فان حاجة الأمة الى التعليم العالى بمعناه الصحيح كبيرة

وضرورية الى حد أنه يجب على كل مصرى أن يسعى لها ، واذا كان نواب الأمة قد تبرعوا من قبل بالمئات والالوف من الجنيهات لانشاء جريدة ــ تقصد جريدة « الجريدة » ــ غيرة منهم على منفعة الأمة من باب الصحافة والناس فى ذلك مختلفون ، فليكن تبرعهم أضعاف ذلك للجامعة التى لم يختلف اثنان فى عظيم نفعها للامة .

وقالت المؤيد ان مصطفى كامل الغمراوى قد اختار دار جريدة المؤيد لاجتماع المكتتبين لانشاء الجامعة ، ولكننا رأينا تجنبا لسخافات المناظرات الشخصية فى الصحافة أن يكون الاجتماع فى منزل سعد زغلول :

كما اكدت المؤيد أن جميع سكان القطر قد استقبلوا الدعوة لانشاء الجامعة بالابتهاج والسرور لا فرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم ، لأن وجود جامعة علمية محضة توجد علماء فى الفنون العالية هو عمل نافع لكل سكان القطر .

وطالبت المؤيد عدلى يكن مدير الأوقاف العمومية بتحويل ايرادات الأوقاف غير المحددة بقيود الى مشروع الجامعة ، كما طالب مرقص فهمى على صفحات المؤيد جميع البطريكخانات بتقديم ا تستطيع تقديمه لهذا العمل الكبير .

كما تابعت المؤيد نشر اخبار اللجان المشكلة لجمع التبرعات ، للجنة التحضيرية لمشروع الجامعة ، بالاضافة الى نشر قوائم بأسماء المتبرعين ، وقيمة التبرعات .

ودعت المؤيد الى اتحاد الأحزاب وزعماء الأمة وقادة أفكارها من أجل مشروع الجامعة لأنه اسمى المشروعات الوطنية النافعة ،

ولأنه « اذا كانت الأحزاب ترغب فى العمل الخالص لنيل الدستور بكامل أجزائه فيجب أن تعمل من أجل انشاء الجامعة » ٠

واستمرت فى استخدام أسلوب الاستمالات العاطفية فى محاولة كسب التأييد الجماهيرى لهذا المشروع ، وتأكيد أن المدنية الحديثة فى أوروبا قد بنيت بأيدى رجال الجامعات ، فلا ينبغى لنا أن نطمع فى رقى أو رفعة نبلغ بها منزلة أوروبا الا بالجامعة ٠

وقد تفاخرت المؤيد بأنها كانت ـ كما تقول ـ أول مجاهد جاهد فى سبيل الجامعة ، وأول منتصر فى معركة ذلك الجهاد العظيم ٠

* * *

المبحث الثانى

المؤيد وقضية تحرير المرأة

بدأ اهتمام جريدة المؤيد بقضية تحرير المرأة منذ عام ١٨٩٥ حيث نشرت مقالا لحسن باشا محمود دعا فيه الى تعليم البنات القراءة والكتابة والصنائع والحرف لأن النساء هن مدبرات المنازل وعليهن تربية الاطفال ولذلك كان التعليم لهن من الأمور اللازمة المؤدية الى حسن التربية •

وأكد حسن باشا محمود أن الشريعة الاسلامية لاتمنع من الوصول الى هذه الغاية التى عليها مدار عمار البلاد . وكل عاقل يعلم أن التربية الأولى للاطفال ليست الا بمعرفة الامهات ، فاذا لم تكن الأم عاقلة متمتعة بالتعليم متحلية بالاداب والدين ، فانها لا تحسن تربية أولادها ، فمعرفة الأم هى أول سبب لارتقاء عقول أولادها ، واهتدائهم الى السبيل المستقيم ، وتعليمهم فى سن الطفولة ما ينفعهم دينا ودنيا ، بالاضافة الى أن لتعليم البنات أهمية فى حسن المعيشة •

ورغم ذلك فان البداية الحقيقية لطرح قضية تحرير المرأة هى نشر جريدة المؤيد لمجموعة من المقالات التى كتبها قاسم أمين فى مارس ١٨٩٩ ثم جمعها بعد ذلك فى كتاب بعنوان « تحرير المرأة » وقد أثارت المقالات التى نشرتها المؤيد اهتمام الكثيرين من قــراء الجريدة ، ومحررى الجرائد الأخرى فى ذلك الوقت ، لكن الاهتمام الحقيقى بما كتبه قاسم أمين فى قضية تحرير المرأة لم يبدأ فعلا الا بعد صدور الكتاب ٠

وقد رحبت المؤيد بصدور كتاب « تحرير المرأة » ووصفته بأنه كتاب جليل تناول فيه العالم المفضال قاسم أمين أهم مواضيع الهيئة الاجتماعية المصرية بوجه خاص والاسلامية بوجه عام ، وأنه مثل فيه جال المرأة المسلمة أوضح تمثيل مبينا أن حالة الجهالة السيئة التى صارت من مميزاتها هى السبب الأول فى تأخر العالم الاسلامى الحاضر ، وتوقعت المؤيد أن يكون ظهور هذا الكتاب مصدر تغير عظيم فى أفكار الأمة ينشأ عنه فيما بعد تغير عظيم فى أخلاقها ٠

ومع ذلك فقد أشارت الى أن موضوع الكتاب فى أقصى درجة من الأهمية ولا يبعد أن يكون فيه شىء من الخطأ يحتاج الى النقد ، ومبادلة البحث توصلا الى الحقيقة التى هى ضالة العقلاء وأساس الاصلاح فى كل مقصد ٠

وقد فتحت المؤيد صفحاتها للمؤيدين والمعارضين للكتــــاب ، متخذة طابع الحياد فى البداية ، الا انه ــ بعد فترة قصيرة ــ زادت عدد المقالات التى تنتقد الكتاب على صفحات المؤيد ، ويرجع ذلك الى سخط الخديو عباس على الكتاب ومؤلفه الذى ظهر فى رفضه لقبول الكتاب عندما اهداه له قاسم أمين تعبيرا عن رفضه لمحتوى

الكتاب ، والأمر الذى أصدره بمنع قاسم أمين من دخول قصر عابدين رغم مكانته المرموقة فى القضاء ٠

ويؤكد مختار التهامى أن على يوسف كان من المؤيدين لحركة تحرير المرأة ، فهو الذى سمح أصلا بنشر مقالات تحرير المرأة على صفحات المؤيد قبل أن تجمع فى كتاب ولا شك أنه كان يدرك ما سوف تثيره تلك المقالات من حوار وجدل بين قادة الرأى العام المصرى ٠

ويؤيد الباحث هذا الرأى مضيفا الى المبررات السابقة أن على يوسف كان على علاقة وثيقة بالشيخ محمد عبده وعدد من تلاميذه وبخاصة سعد زغلول وبالتالى فمن المحتمل أن تكون هناك علاقة وثيقة بينه وبين قاسم أمين لاسيما اذا أخذنا فى الاعتبار أن قاسم أمين قد نشر على صفحات جريدة المؤيد عددا من مقالاته ابتداء من عام ١٨٩٧ ٠

ولكن علاقة على يوسف بالخديو عباس التى جعلته يبتعد الى حد ما عن جماعة الشيخ محمد عبده دون أن يعاديها أو يتخاصم معها دفعته الى أن يفسح صفحات جريدته لمعارضى كتاب تحرير المرأة ٠

ويبدو أن موقفه هذا هو الذى دفع قاسم أمين وجماعة الشيخ محمد عبده الى التخلى عنه خلال قضية الزوجية ، حيث انه لم يظهر أى مقال لقاسم أمين فى الدفاع عن على يوسف خلال هذه القضية بالرغم من أنها كانت فرصة للدفاع عن حق المرأة فى تزويج نفسها كواحد من أهم حقوقها ، ولم يشذ عن ذلك من جماعة الامام

محمد عبده سوى الشيخ رشيد رضا الذى اتجه فى مجلته « المنار » الى تفنيد مفهوم الكفاءة فى الاسلام ·

وقد ركز مؤيدو كتاب تحرير المرأة على مدح الكتاب ومؤلفه ، والدفاع عن تعليم المرأة ، لكن بعض هؤلاء المؤيدين قد دافع فى الوقت نفسه عن الحجاب ، ومن بين هؤلاء عبد القادر حمزة ومحمد فريد وجدى فرغم أن عبد القادر حمـــزة قد اعتبر أن قاسم أمين وكتابه « دليل على أن فى مصر من النابغين الأذكياء من يضمن لنا أنها تسير فى طريق الأمم المتقدمة الا أنه دافع عن الحجاب « لأنه شعار من آداب المرأة التى يلزمها التحلى بها وأن المرأة التى تخلــع الحجاب لا تريد بذلك سوى السير فى طريق الفتنة ، وأنه لا شىء من الاستبداد فى الحجاب ، وأنه ما وجد الا لصيانتها من شوائب النزعات الشيطانية ·

لكنه يدافع عن تعليم المرأة مؤكدا أن الجهل قد ضرب أطنابه فى نسائنا فشببن وعشن جاهلات لا يعرفن من الدنيا سوى الأكــل والنوم ، فساءت بذلك حالتهن وحال من يعاشرهن حتى أصبحن عالة على الرجال ، وثقلا من أثقال الحياة ، وتبع ذلك أن جهلن حقوقهن ، فظلمهن الرجال واستبدوا بحقهن ، وهن غافلات يحسبن ذلك من الواجبات ، وقد يظن كثير من الناس أن العلة فى هذا الحجاب ، ولكن هذا الظن فاسد اذ لاعلة سوى الجهل ، فاذا جاء يوم تعلمت فيــه نساؤنا ، وتربين التربية الحقة عرفن حقوقهن ، عرف لهن الأزواج قدرهن ، فامتنع بذلك الاستبداد ، وحل محله صفاء المعاملة ، وحسن الائتلاف ، ويومئذ يظهر جليا أن الحجاب من ضروريات الكمال التى لا ضرر فيها ·

كما أكد محمد فريد وجدى أنه لم يظهر فى عالم المطبوعات العربية كتاب له من الأهمية والتأثير مالهذا الكتاب الجليل الذى يسمى تحرير المرأة ، ويشهد كل سطر فيه باخلاص كاتبه ورغبته فى خير بلاده وببعد نظره فى الأشياء ٠

لكنه هاجم فكرة المساواة بين الرجل والمرأة مبررا ذلك بأن المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا ، أما جسما فلكونها معرضة للوازم الأنوثة ، وهى أمراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة الأطباء ، واما ادراكا فلكونها بحكم وظيفتها من تدبير المنزل وتربية أطفالها غير معرضة لمناشىء تنمية القوة الادراكية فتكون النتيجة اللازمة لكل هذه المقدمات أن المرأة لا تساوى الرجل فى كل حيثية انسانية ، وبناء على هذا يجب أن يكون الرجل صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة أحكام الطبيعة بالاقاويل ، ولكن ذلك كله لا يمنع من مطالبة الرجل بالاعتدال فى تلك السيطرة ، واعطاء المرأة حقوقها فى حدودها المعتدلة الحقة لا فى القاء حبلها على غاربها وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية التى كثيرا ما فتنت العباد والزهاد ٠

وقد ركز مؤيدو قاسم أمين على أن تحرير المرأة من أهم أسباب تقدم الدول الغربية وأمريكا ، وأن تأخر الدول الشرقية يرجع الى أن النصف أو الثلثين من مواطنى هذه الدول عالة على الباقى لا يعمل شيئا يستفاد منه ٠ كما ارتبط دفاع المؤيدين بنظرة قاسم أمين وذوى الثقافة الغربية من المصريين الى تحرير المرأة باعتباره جزءا لا يتجزأ من حقوق الانسان على النحو الذى اقرته الثورة الفرنسية ، حيث قامت دعوة قاسم أمين – ودفاع مؤيديه – من الناحية الانسانية على احترام حقوق الانسان وفى مقدمتها الحرية

والمساواة والاخاء ، ومن الناحية التاريخية الاجتماعية على انتشار الفكرة الديموقراطية ٠

أما معارضو تحرير المرأة فقد اتجهوا مباشرة الى الشريعة الاسلامية دون النظر الى القضية من ناحية الحريات السياسية ، وكان أبرزهم هو الشيخ محمد حسن البولاقى الذى نشرت المؤيد جزءا كبيرا من الكتاب الذى ألفه فى الرد على كتاب قاسم أميـن بعنوان « أنيس الجليس عما فى تحرير المرأة من التلبيس » وقد اتهم فيه قاسم أمين بأنـه جاهل بالعلوم الشرعية ، ودافـع فيـه عن الحجاب وعن تعدد الزوجات مقدما أدلة فقهية على ذلك ٠

ويبدو أن محمد فريد وجدى الذى دافع عن الكتاب فى البداية قد اتجه الى الجانب المعارض بعد ذلك حيث نشرت له المؤيد عددا من المقالات بعنوان « رأى الطبيعة فى مسألة المرأة » حذر فيها من السير بالمرأة المصرية فى الطريق الذى سلكته المرأة الاوربية لأن ذلك من التقليد المضر الذى يزيد من أحوالنا فسادا ٠

ويكشف ذلك بوضوح عن تحول موقف المؤيد من كتاب تحرير المرأة باعتبار أن محمد فريد وجدى كان واحدا من أبرز كتابها فى تلك الفترة ٠

واذا كانت المؤيد قد نشرت مقالات قاسم أمين قبل أن يجمعها فى كتاب تحرير المرأة ، وسمحت بنشر بعض المقالات المؤيدة للكتاب فى الفترة التالية لصدوره مباشرة ، فان الأمـــر قد اختلف تماما عندما أصدر قاسم أمين كتابه الثانى « المرأة الجديدة » فى عـــام ١٩٠١ ، فلم تنشر اى مقال يؤيد تحرير المرأة فى حين قامت بنشر

ترجمة كتاب الفه الشيخ جمال الدين افندى قاضى قضاة مصـــر باللغة التركية بعنوان « الاحتجاب » قدم فيه الكثير من الأدلة الفقهية على ضرورة الحجاب •

كما نشرت بعض مقتطفات من كتاب آخر الفه محمد طلعت حرب بعنوان « فصل الخطاب فى المرأة والحجاب » لكنها اعترضت على عنوان الكتاب مبررة ذلك بأن موضوع تحرير المرأة من حيث هو اجتماعى مدنى لا يزال فى دائرة البحث ، وقالت ان طلعت حرب قد اقتطف معظم أدلته وردوده من كتاب الفه قاسم أمين عام ١٨٩٤ بالفرنسية ردا على الدوق داركور ، ودافع فيه عن الحجاب واعتبره فضيلة ولازما لتكوين عائلة ذات عرض وآداب ، ولكن لايوجد من يقول ان كل ما يقوله الانسان فى زمن يجب أن يلزمه فى كل زمن خطأ كان ذلك أم صوابا وعلى ذلك ففى استطاعة قاسم أمين أن يقول ردا على ماجاء فى فصل الخطاب كنت مخطئا ، والآن جئت أقول ما اعتقده صوابا •

ولا يمكن اعتبار ذلك دفاعا عن قاسم أمين ، ولكنه كان اعتراضا على قفل باب المناقشة فى الموضوع •

وقد التزمت المؤيد حتى عام ١٩١٥ بالدفـاع عن الحجـــاب والتحذير من ظاهرة السفور التى بـدأت ـ فى رأيها ـ تتفشى فى المجتمع المصرى • حتى أصبحت المرأة فى الطريق مثارا للاغراء وسببا من أسباب الفساد الاجتماعى وصورة مكبرة تشف عن حياة كلها تبرج وتطرف وخروج عن جادة الكمال المطلـــوب والفضيلة المرغوب فيها ، فهى فى حاجة كبرى الى محاربتها ومقاومتها من الرجال أولى الحزم والعزم والرأى الصحيح فيما تذهب اليه من

التطرف فى التبرج والزينة على حال تأباها الكرامـة ، وينكرها العقل ٠

ودعت المؤيد كل الرجال لمقاومة « تطرف المـرأة فى الزينة والتبرج » ٠

وقد كشفت « باحثة البادية » عن سر تمسك الحركة الوطنية فى تلك الفترة بالحجاب ، وأن ذلك كان رغبة فى الحفاظ على الهوية القومية ، ورفضا للنموذج الغربى حيث أكدت أننا يجب أن نعمل على حفظ قوميتنا ، وتقوية روح الاستقلال فينا ، وفى الأجيال القادمة من أولادنا اذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح ، ولذلك يتحتم علينا الا نقتبس من المدنيـة الأوربيـة الا الضـرورى النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنـا ، ولايجوز فى عرف الشرف والاستقلال أن نندمج فى الغرب ، ونلاشى ما بقى لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة ٠

ومن هذا المنطلق دافعت باحثة البادية عن الحجاب فى خمس مقالات نشرتها المؤيد فى أبريل ١٩١٠ ٠

واذا كانت المؤيد قد اتخذت موقفا محافظا بوجه عام فيما يختص بمسألة الحجاب ، فانها قد أعطت اهتماما كبيرا لمسألة تعليم المرأة ودافعت عنه حيث أكدت أن الأمة فى حاجة كبرى الى تهذيب النساء وتعليمهن وتربيتهن التربية التى تؤهلهن لانقاذ الأمة من عثرتها ، واعانتها فى نهضتها ، أما اذا حاولت الأمة أن يكون تقدمها برجالها وحدهم كانت كالرجل المصاب بشلل فى نصفه الأسفل ثم يحاول النهوض فالمشى ٠

وأرجعت المؤيد ما تعانيه المرأة من جهل وتخلف الى اهمال شأن التعليم وليس الى الحجاب ، ووجهت اللوم الى الأغنياء الذين آتاهم الله كنوز الذهب والفضة ، ولو أنهم اعتنوا بتشييد المدارس والمعاهد ونشر العلوم والمعارف لرفعوا نساء الشرق ورجاله الى ذرى العلم وسماء العرفان ، ولكنهم نسوا هذا الواجب المقدس أو تناسوه ، وكان الأحرى بهؤلاء الذين يدعون خطأ أو مكـــابرة أن الحجاب هو العقبة الكؤود فى سبيل تعليم المرأة أن يستنفروا عواطف أولئك الاغنياء ، ويستلينوا قلوبهم ، ويستنهضوا هممهم لبذل شىء من هذه الكنوز المدفونة ، والأموال المخزونة فيما يؤدى الى رقى المرأة ، وخروجها من ظلمة الجهالة الى نور العلم بدلا من المطالبة باخراجها من خدر صيانتها وعز حجابها •

واستمرت المؤيد فى مطالبتها للاغنياء بتأسيس مدارس لتعليم الفتيات مستخدمة فى ذلك أسلوب الاستمالات العاطفيـة فى بعض الأحيان ، فالأمة التى تقصر العلم على الذكور تفقد قوتها ، ويكون مثلها مثل سفينة اجتمع راكبوها فى احدى جنباتها فأختل توازنها وقد تسلطت عليها العواصف والامواج ففاضت بمن فيها ، فيا أيها المصلحون هذه أمتكم قد انحطت فيها المرأة أكثر من كل شىء ، فمدوا أيديكم الى البنات وانتشلوا العائلة من وهدة سقوطها ، وان رجال الأمة المصرية الحاضرة مسئولون أمام أمة الغد عن اهمالهم فى تهذيب المرأة المصرية وتعليمها بنسبة ما لنا من الأمانى الوطنية ، وما نرتجيه لوطننا العزيز من الرفعة ، لاسيما أن منزلة الرجـــل الشرقى فى أسرته هى فوق منزلة السيد ، ولهذا فهو يتحمل مسئولية لا حد لها على بقاء بناته وزوجته فى ظلام حالك أو نـــور خـــادع والجناية بذلك أكبر جناية على مصلحة الأمة •

وأكدت المؤيد أن التعليم بالنسبة للمرأة حق من حقوقها الطبيعية التى لا يجوز التفريط فى شأنها ، فلا فرق بينها وبين الصبى من حيث قابلية التعليم ٠

اما قضية عمل المرأة فلم تنل اى اهتمام من الجريدة خلال الفترة من ١٩٠١ الى ١٩١٥ ، اذ لم تنشر خلالها سوى مقال واحد يتناول هذه القضية اعتبرت فيه أن عمل المرأة هو الأساس الذى يبنى عليه مستقبل الأمة ، والذى يرتكز عليه حاضرها ، وأن عدم خروج المرأة للعمل هو السبب فى انحطاط المصريين وتأخرهم ٠



المبحث الثالث

المؤيد والاصلاح الاقتصادى

واجهت مصر قبل الاحتلال العسكرى الانجليزى غزوا اقتصاديا أوروبيا تضاعفت قوته مع بداية الاحتلال الذى قام بتحويل البلاد الى سوق للرأسمالية الأوربية ، وقد تنبه الوطنيون لخطر تزايد رأس المال الاجنبى فى مصر ورغم تركيز المؤيد فى الفترة من ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٠ – وهى الفترة التى كانت فيها لسانا لتحالف القوى الوطنية – على محاربة الاحتلال العسكرى ، فانها أيضا قد أشارت الى خطر الاحتلال الاقتصادى محذرة من تدفق تيار المال البريطانى على أيدى الشركات الانجليزية التى تستثمر أموالها بدقة ، وأنه اذا لم يتوقف هذا التيار ، فان السياسة الاستعمارية البريطانية سوف تستولى على مرافق مصر ومنافعها ، ويصبح أهلها عالة فى الوجود أولى بهم الموت والفناء من الحياة والبقاء ·

وقد اتبعت المؤيد عدة وسائل في مواجهة الغزو الاقتصادى الأوربى هى :

١ - تشجيع الصناعات الوطنية :

وقد أبدت المؤيد اهتماما كبيرا بالصناعة الوطنية منذ عام ١٨٩٢ حيث اشارت الى أن الصناعات الوطنية التقليدية كالمنسوجات الاخميمية والمحلاوية قد بدأت تضمحل وتتلاشى ، ويجب على الأغنياء الوطنيين الأخذ بناصر هذه الصناعات ، كما طالبت الحكومة بالمساعدة على نهضة الصناعات الوطنية ٠

كما وجهت اللوم للحكومة على اهمالها فى تحصيل جمارك على واردات أوروبا الصناعية ، وطالبت برفع التعريفة الجمركية على مصنوعات أوروبا التى يمكن الاستغناء عنها بما يصنع فى مصر حماية للصناعة الوطنية ٠

واستخدمت المؤيد المشاعر الدينية فى الحث على تنمية الصناعات الوطنية مؤكدة أن ذلك واجب دينى وأن الصناعات من فروض الكفايات التى تعذب الأمة كلها اذا لم يقم جماعة منها بعملها ، وأن من قام باحياء صناعة ، أو اختراع آلة ، أو تأسيس شركة صناعية ، أو بناء مدرسة تخصص للصنائع ، فله بحكم الشريعة اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ويكون هذا العامل من أعظم المجاهدين فى الأمة ، وأن احياء الصناعات والاشتغال بها فى هذا الزمان من أعظم القربات الى الله ٠

وقد ظلت المؤيد تؤكد على أهمية دور الحكومة فى حماية الصناعات الوطنية ، وتحميلها مسئولية تخلف هذه الصناعات ، وهزيمة المصرى أمام الأجنبى ، فالمصرى تنتظره الهزيمة فى المعركة الاقتصادية مع الأجنبى ، وهو قليل الهمة عديم الابتكار والسبب فى ذلك أنه كان محكوما اجيالا طويلة بحكام مستبدين أضعفوا فيه روح

الحياة حتى صيروه كالآلة الصماء ، فواجب على الحكومة تجاه هذه الحالة المحزنة أن تأخذ بيد الوطنى وتجعله فى مركز يسمح له بالدفاع عن حقوقه لا أن تدعه أمام عدو تتوافر فيه شروط الانتصار ٠

كما هاجمت المؤيد الانجليز الذين يعملون لتحطيم الصناعة الوطنية ليجعلوا من مصر شونة للانكشير ، كما أشارت الى خطورة اعتماد مصر على القطن كغلة أساسية لأنها بذلك تكون مستعبدة للغير عرضة لكل الطوارىء ، وتصبح ثروتها معلقة على أسعار القطن ، وطالبت بأن تقوم مصر بتصنيع القطن ، كما طالبت بانشاء مصنع للطرابيش منتهزة فرصة مقاطعة المصريين لبضائع النمسا بسبب معاداتها للدولة العلية ، كما نشرت قوائم التبرعات لانشاء هذا المصنع ٠

ودعت المؤيد الى تأسيس الشركات والنقابات الصناعية لشد أزر الصناع المصريين ، وتربيتهم على العمل النافع من حيث الاجادة فى الصناعة بما يوافق العصر ، فقد أوشكت ثروة البلاد أن تذهب الى أيدى أولئك الأجانب ونحن غافلون ٠

كما دعت المصريين الى مقاطعة البضائع الأجنبية ، لأن الأجنبى يريد أن يجرد المصرى من أمواله وثروته ، ويكون هو صاحب الأموال فى البلاد ، والمصرى خادم عنده ، ولذلك يجب على كل شخص تجرى فى عروقه نقطة من ماء النيل أن يذكر أن الصناعة الوطنية تحتاج الى العناية بها حتى تنشط من عقالها ٠

واعتبرت المؤيد أن الأخذ بيد الصناعة الوطنية والعمل لتحسينها بتشجيع الصناع الوطنيين بكل الوسائل ، وتفضيلها على وارد الخارج مهما كان هو من أهم الوسائل الموصلة الى الاستقلال ٠

وقد أدركت المؤيد أن الاستقلال السياسى لابد أن يدعمه استقلال اقتصادى ولذلك ظلت تؤكد على الترابط بينهما مطالبة المصريين بأن يبرهنوا على جدارتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم وذلك لايكون الا بتشجيع الصناعة الوطنية ، وطالبت كل وطنى بأن يؤيد الصناعة الوطنية ، ويعضدها جاعلا شرف بلاده فى ذلك نصب عينيه فان فى الصناعة الوطنية شرفا لا يضاهيه شرف آخر ثم انه من جهة أخرى يؤيد حجحنا فى أننا وصلنا الى درجة من الرقى لاتسمح لأجنبى أن يقف دون مطالبنا السياسية التى لايمكن التسليم بها من المغتصبين لها الا باقامة الأدلة المحسوسة على استغنائنا عنهم ٠

كما طالب احمد أمين جميع المصريين بشراء المصنوعات المصرية حتى لو كانت ذات ثمن مرتفع ، لأن أموالنا لا تذهب الى أيدى الأجانب بل تظل فى أيدينا ٠

وطالبت المؤيد الاغنياء بانشاء المشروعات الصناعية خاصة صناعات الغزل والنسيج والورق والزجاج والبلور ، وذلك لاستيعاب الكثير من المصريين الذين يعانون من البطالة ٠

٢ ـ الدعوة لتشجيع التجارة الوطنية :

نشرت المؤيد فى عام ١٨٩٧ سلسلة مقالات لقاسم أمين بعنوان « أسباب ونتائج » أشار فيها الى أن من أسباب فقر المصريين وتخلفهم احتقارهم للتجارة ، وطالب المصريين بهجر الوظائف الحكومية والعمل بالتجارة لأنها « علم الثروة الحقيقى » ٠

ودعت المؤيد المصريين الى الامتناع عن الشراء من التجار الأجانب وذهبت الى اعتبار من يشترى صنفا من تاجر اجنبى يتوافر لدى تاجر مصرى خائنا لوطنه ، وأن خيانته لوطنه لاتقل عن خيانة

الموظف الصغير الذى تحركه عوامل السياسة الأجنبية ، وبررت المؤيد ذلك بأن أهم فروع التجارة وأكثرها رواجا هى الآن بين أيدى الاجانب ، واذا استمر المصريون فى هذا الطريق التعس ، فاننا نخاف أن يأتى وقت تكون فيه أراضينا وأموالنا بين أيدى الأجانب فنصبح كهنود أمريكا الذين يتلاشون شيئا فشيئا ٠

كما أكدت المؤيد أن شراء السلع الأجنبية من التجار الاجانب يتنافى مع الوطنية فاذا كان غرض الاستعمار أن تكون بلادنا سوقا لسلعهم ، فهل من العقل والوطنية أن نشترى بضائعهم من هنا وهناك ليأخذوا منا ربحين ربحا للمعامل فى أوروبا وربحا لفقرائهم الذين يفدون على بلادنا ، وهم لا يملكون قوت يومهم ، ثـم يأخذون فى الاثراء ، ويعاملوننا معاملة الغنم ونحن أصحاب البلاد ، واذا ظللنا لا نعرف الا حانوت الأجنبى مكانا للحصول على حاجتنا فالمآل أن تزول ثروة البلاد من أيدينا ، ونكون ضد أمانى بلادنا ٠

ودعت المؤيد الى تكوين جمعية لتشجيع التجارة الوطنيـة ، وعمل كل الوسائل لترويجها والترغيب فيها بأن يلبس أعضاؤها كل ملابسهم منها ليكونوا مثـالا حيـا للذى يريد أن يعمـل ولايجد الوسيلة ٠

وناشدت العقلاء والكتاب والمفكرين باسـم الأمة أن ينقذوا البلاد من سيل تجـارة أوروبا الجارف بتنشـيط التجار الوطنيين والاقبال على شراء بضائعهم ٠

واعتبرت المؤيد أن تشـجيع التجارة الوطنية احدى الطرق الموصلة للاستقلال ، ودعت الى أن يزاحم المصريون الأجانب فى هذا المجال ، وأبدت اسفها لعـدم وجود مدرسة واحدة فى مصر تقوم

بتعليم هذا الفن الحيوى ، ولو راجع أغنياؤنا ذواتهم لوجدوا من أولياتـ واجباتهم انشاء المدارس التجارية وارســال البعثات الى أوروبا لاعداد معلمين لهذه المدارس ٠

٣ ـ الدعوة لانشاء بنك وطنى :

ظهرت الدعوة لانشاء بنك وطنى خلال الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد فى عام ١٩٠٧ ، وما ترتب عليها من نزع البنوك العقارية لملكية أطيان المدينين الذين عجزوا عن ســداد ديونهــم ، فتعالت الأصوات بالمناداة بتأسيس بنك وطنى لانقاذ البلاد من سيطرة رأس المال الأجنبى ٠

وقد أفسحت المؤيد صفحاتها لطلعت حرب الذى كتب عــدة مقالات فى عام ١٩٠٧ أوضح فيها أهمية انشاء هذا البنك الوطنى ، فقد أصيب الغنى والفقير بالنوازل المالية التى استحوذت على القطر فأثقلت الكواهل ، وأحنت الظهور ، وغلــت الأيدى بما كــاد يوهن قوى البلاد ، ومعلوم أن المال أساس الاستقلال ، وقـــوام المدنيــة والارتقاء ، وهو يعزز قوة الأمة ويعلى شأنها ؛ فيجب أن ننهض الآن نهضة صادقة لانشاء بنك وطنى برأسمال وطنى وادارة وطنية ٠ ولا ريب أن دون ذلك عقبات كثيرة ، ولكن اجتماع الأمة على تأييد هذا المشروع الوطنى هو برهان واضح على أنها قد قطعت شوطا بعيدا فى سبيل الاســـتقلال ، وبلغت مبلغا عظيما من الارتقــاء والكمال ٠

وأوضح طلعت حرب أن البنك المقترح سيكون بنكا للامــة بأسرها ، فالأمة رابحة والمساهمون رابحون ، ومثــل هذا البنك الوطنى يكون أدرى بمواطنيه من تاجر وصانع ومزارع فيتعامــل

مغهم ولا يجعلهم هدفا لأطماع الماليين من الاجانب فتتحسن حالة الأمة من جهة ، وتشتغل أموال المساهمين المكنوزة وتنمو من جهـة أخــرى •

وقال طلعت حرب ان الدول اذا أرادت أن تستأثر بالشعوب وتستعمر الممالك أنفذت فى طلائعها قوما من الماليين وشدت أزرهم حتى يؤسسوا البنوك والشركات المالية فيخضعوا الوطنيين بقـوة أموالهم •

وتساءل : أيقال ان أمة عظيمة تقاعدت عن حماية ذمارهــا المالى ، ودفع غارة المضاربين على قواها الحية ؟ ، أحقيقى أننا كما يقول الأعداء مستنيمون للمذلة عاجزون عن جنى ثمار المدنية وهى دانية القطوف لمن يريد لبلاده خيرا وفلاحا ؟ •

كما شارك عمر لطفى فى الدعوة الى انشاء بنك مصرى ، لكنه اشار الى امكانية مشاركة الأجانب فيه بأموالهم •

ولكن الدعوة لانشاء البنك قد توقفت حتى عام ١٩١١ عندما قررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر المصرى تقديم توصية الى المؤتمر بانشاء البنك الوطنى برؤوس أموال مصرية خالصة •

وقد بدأت المؤيد فى مساندة هذه الدعوة مرة أخرى مبررة ذلك بأن تأسيس بنك وطنى يعود على الأمة بالفوائد العظيمة هــو الطريق العملى الى الاستقلال والخلاص من ربقة الاستعباد المالى أو الاحتلال •

كما ربطت الدعوة لانشاء بنك وطنى بدعوة الماليين للاتحاد وانشاء الغرف التجارية الوطنية حتى يمكنهم السيطرة على السوق

وانشاء شركات بأموال الأمة وعدم الدخول فى شـــركات أجنبية ، والاجتهاد فى سداد الديون المصرية فى مواعيدها والتخلص منها بكل الطرق ٠

وقد قاد طلعت حرب مرة أخرى هذه الدعوة حيث أوضح أن البنوك الأجنبية الموجودة فى مصر قد نجحت نجاحا تاما وكسبت مالا عظيما ، وكل يوم نسمع بفتح بنك جديد يستنزف أموال البلاد الى الخارج ، وعلى الرغم من ذلك فان المكان لايزال فسيحا بجانبها لبنك مصرى له من الربح نصيب ٠

وقد ربط طلعت حرب دعوته لانشاء بنك وطنى بدعوة اجتماعية هدفها تحسين حال الفلاحين المصريين ، وتخليصـــهم من تحكـم المرابين الاجانب وقد واصلت المؤيد الدعوة لانشاء البنك الوطنى حتى عام ١٩١٥ حيث أشارت الى أن البنوك الأجنبية قد استغلت فرصة الحرب العالمية الأولى لتنقل الأموال المودعة فيها الى دولها ، وأصبح أصحابها عاجزين عن سحبها ، ولو كان لدينا بنك وطنى لما نزلت بنا تلك النكبات ، ومصر تنادى الآن أبناءها لانشاء بنـك وطنى ٠

وقـد عبرت المؤيد بذلك عن التغير الذى طرأ على الأفكـار الاقتصادية للبرجوازية الزراعية المصرية ، والذى جعلها تقتنع بأن الأرض لم تعد ـ وحدها ـ تقدم مجال الاستثمار الأمثل لرؤوس الأموال ، وأن الوقت قد حان للبحث عن مجالات جديدة للاستثمار ٠



الفصـــل السابـــع

المؤيد وقضايا الفكر القومى

واجهت الحركة الوطنية المصرية عقب الاختلال البريطانى موقفا شديد الصعوبة والتعقيد ، فقد أصبحت مصر واقعيا تخضع للاحتلال البريطانى بينما تخضع اسميا لسيادة الدولة العثمانية ، وقد حكم هذا الوضع السياسى والهدف الرئيسى للحركة الوطنية الذى تمثل فى العمل على التخلص من السيطرة الاستعمارية ، نظرة الوطنيين لاشكالية الهوية ٠

ويمكن أن نلاحظ بوضوح تيارين فى الفكر القومى المصرى فى هذه الفترة بالاضافة الى تيار ثالث حاول التخفى فى بعض الأحيان ، وكشف عن نفسه فى أحيان أخرى ، وسوف نعالج موقف جريدة المؤيد من التيارات الثلاثة فى ثلاثة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول

الجامعة الاسلامية

غلب تيار الجامعة الاسلامية على الفكر القومى فى مصر ، وسيطر على توجهات الحركة الوطنية حتى قيام ثورة ١٩١٩ وذلك للاسباب التالية :

١ ـ كان من الطبيعى ازاء تعرض العالم الاسلامى للاطماع الاستعمارية الاوربية أن تظهر فكرة الجامعة الاسلامية كقوة تجمع الشعوب التى تعتنق الاسلام لتواجه الغرب وأطماعه ٠

٢ ـ تركيز الحركة الوطنية على مقاومة الاحتلال البريطانى باعتباره الهدف الرئيسى الذى يجب أن توجه من أجله كل الجهود وتتحدد من خلاله كل التحالفات ولذلك كان من الطبيعى أن يتطلع الوطنيون الى تأييد الدولة العثمانية ، وأن يجدوا فى دعوة الجامعة الاسلامية عامل دعم لهم فى نضالهم ضد الاحتلال ٠

٣ ـ وجود عدد كبير من تلاميذ جمال الدين الافغانى صاحب

الدعوة للجامعة الاسلامية ، بالاضافة الى تأثير الافغانى فى الفكر المصرى ٠

٤ ـ تمسك الحركة الوطنية المصرية بأسلوب الكفاح السلمى ومحاولة استغلال الأوضاع السياسية السائدة من حيث أن سيادة الدولة العثمانية على مصر هى وسيلة للحيلولة بين انجلترا واعلان حمايتها على مصر ، كما كانت مسألة مصـــر من الناحية الفقهية الدولية تستدعى التمسك بالسيادة التركية الضـــعيفة من ناحية المؤتمرات الدولية فهى اذن وسيلة لاثبات عدم شـــرعية الاحتلال البريطانى ٠

٥ ـ رغبة الحركة الوطنية فى العمل داخل أكبر نطاق من الشرعية ، ومن ثم نجد أن مصطفى كامل يتحالف مع الخديو عباس كما يتحالف مع السلطان العثمانى ، ويمثل الاثنان السلطة الشرعية فى البلاد ، ومهما تكن ضآلة هذه الشرعية فانهـــا تكتسب أهمية كبيرة فى مواجهة العدو الخارجى ٠

ويمكن القول بأن الدعوة الى الجامعة الاسلامية كانت وسيلة للتحصن ضد الهجوم الاستعمارى ولمواجهة الظروف التى تجمعت فى البلاد العربية بخاصة وفى مصر بصـــورة أخص وفى البـــلاد الاسلامية بعامة لتستثير فى قلوب المسلمين الدعوة الى التضامن والتآلف والاتحاد تحت راية الدين الاسلامى ، الأمر الذى دفـــع بكثير من رجال مصر ومفكريها الى تبنى هذه الدعوة أمـــلا فى التخلص من الاستعمار ، ودفعـــا لمحاولاته الدائمة فى اضـــعاف العصبية الاسلامية ، فهى اذن ليست اذابة وملاشاة للنزعة القومية أو الوطنية أو اضعافا لها وانما هى تقوية لهذه النزعة ٠

ولذلك كان من الطبيعى أن تؤيد جريدة المؤيد حركة الجامعة الاسلامية خاصة فى الفترة التى لعبت فيها دور اللسان الناطق باسم تحالف القوى الوطنية ١٨٩٢ ـ ١٩٠٠ وحتى قبل تولى الخديو عباس حلمى وتكوين التحالف نجد أن المؤيد تعتبر أن الدولة العثمانية لا تزال تجمع بين الأمم الشرقية جمعا حقيقيا جعلت هذه الأمم بمنزلة دولة واحدة تبث فيها روح الحاكم الحقيقى الذى لاقوام لها الا به ، ولاحياة الا بتدبيره ورعايته التى تكفل لها كمال السعادة وتمام الرفاهية ، ولذلك وجب علينا القيام بما نستطيعه من فروض العبودية وتقديم التهانى لجلالة السلطان المعظم ومليكنا الجليل ٠

ورغم أن المؤيد خلال عام ١٨٩٠ قد اتجهت الى ابراز أخبار الأسئلة التى يوجهها النواب الأحرار فى البرلمان الانجليزى عن موعد جلاء الانجليز عن مصر خاصة المستر لابوشير وقد امتدحت لابوشير أكثر من مرة ، فانها هاجمته بعنف عندما أيد ثورة أرمينيا على الدولة العلية متهمة اياه بالهرف والحمق ، وهددت بأنه اذا فاه المستر لابوشير مرة أخرى بما يجرح مشاعر العثمانيين ، فان الجامعة العثمانية على استعداد للتضحية بالنفس والنفيس ، كما نفت تهمة التعصب الدينى التى رددتها الجرائد الانجليزية عن الدولة العلية خلال ثورة الأرمن مؤكدة انه رغم أن الدولة العلية تضم الكثير من العقائد والمذاهب ، فان التاريخ شاهد عدل على أن الكل تحت لواء هذه الجامعة سواء ، ولو كان فيها شيء من التعصب لكان أقرب ما يكون الى الاسرائيليين ٠

كما أكدت على الارتباط بين مصر والدولة العلية فمصر ـ فى نظرها ـ قطعة من أملاك الدولة العلية ، وهى تفضل ارتباط مصر بالدولة العلية على الاستقلال فالأمة المصرية ليست مستقلة فى

حياتها السياسية ، وانما هى تابعة لكرسى الخلافة العثمانية ، ومن الغريب أن أغلب الأمم تحسب الاطلاق فى حياتها السياسية أشرف من التقييد مهما كان نوعه ، ولكن الأمة المصرية صارت فى ظروف تجعلها تعتبر أعظم فخر لها فى المحافظة على تلك الرابطة السياسية اذ بهذه الرابطة تستعين على بقاء المميزات الممنوحة لها ٠

ومن ناحية أخرى فقد أكدت على أهمية مصر بالنسبة للدولة العثمانية ، فان الدولة العلية لم تنل مكانتها من العظمة الا بعد أن ارتبطت بها مصر وصارت ركنا من اهم أركانها ، وعمادا من أقوى أعمدتها التى شـيد عليهـا بنيان هذه المملكة ، ومع ما نابها من ضربات الحوادث بعد ذلك فهى لاتزال منيعة الجانب عزيزة المنال ، ولا تزال كذلك ما دامت مصر كبدا لها تقوم بجهاز الخدمة المدنية والدينية ٠

وقد أيدت جريدة المؤيد الدولة العثمانية خلال أزمة الفرمان عام ١٨٩٢ وأشارت الى نوايا انجلترا فى اضعاف الرابطة بين مصر والدولة العلية ، وأنها تحاول أن تجعل الجامعة العثمانية اسما بلا مسمى ٠

كما اتجهت الى الربط بين احتلال الانجليز لمصر ، وثورات الأرمن على الدولة العلية متهمة بريطانيا باثارة الاضطرابات ضد الدولة العلية لاجبارها على التنازل عن مصر ، وقد شارك مصطفى كامل فى هذه الخطة حيث أكد أن الانجليز هم الذين يثيرون الأرمن لاكراه السلطان على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، ولكن الانجليز لن يفلحوا فى ذلك لأن السلطان ينكر على نفسـه صـفته كامير للمؤمنين اذا اعترف لانجلترا بالبقاء فى مصر ، لأن مصر هى مركز

الاسلام ، ومفتاح مكة والمدينة ، وما اعطاء مصر لانجلترا الا بمثابة اعطاء للسلطة الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا .

وقد لوحت المؤيد بالثورة فى وجه الانجليز اذا استمروا فى تحريض الأرمن على تركيا حيث قالت : اذا كان الانجليز يبتغون حربا دينية ، فليعلنوها لنا حتى تسيل دماؤهم ودماؤنا لأننا نفضل الموت الأحمر دون رؤية تقويض أركان الخلافة .

وهذه هى أول مرة تلوح فيها المؤيد بالثورة فى وجه الانجليز رغم أن الحركة الوطنية بكل تياراتها قد ظلت تؤكد على أنها ترفض الثورة كأسلوب لتحقيق الأهداف الوطنية ، وهى حقيقة توضح أهمية الدعوة للجامعة الاسلامية ، وأهدافها ومبرراتها ، وأنها كانت أسلوبا لمواجهة الأطماع الاستعمارية .

ولكن المؤيد فى العام نفسه الذى لوحت فيه بالثورة على انجلترا من أجل الدولة العلية نجدها تهاجم اختلال الادارة العثمانية ، وزيادة عدد الموظفين الأجانب فيها ، وتبنت مطالب الأحزاب العثمانية الحرة فى احداث تغيير جذرى فى هيئة الحكومة العثمانية مبررة ذلك بأنه كلما ازداد التدخل الأجنبى فى شئون الدولة العلية كثر الاختلال فى أحكامها ونظمها .

كما ردت المؤيد على مراد الداغستانى الذى نشر رسالة فى أوروبا باللغة الفرنسية طالب فيها الدول العظمى بالتدخل لاصلاح الادارة الداخلية فى تركيا حيث قالت : ان هذه السياسة الخرقاء تذهب باستقلال الدولة العلية ، والدولة اذا فقدت استقلالها فقدت نفسها ، أما السلطان الذى تشكون منه ، فانه اذا كان ظالما فسيذهب يوما ما ، ويخلفه سلطان عادل ، ولكن الدولة اذا ذهبت فلن تعود أبدا .

وقد فهم السلطان مغزى عبارة المؤيد ، وقال : انه يحرض الأمة على شر تحريض ، وأصدر أمرا بمنع دخول المؤيـــد ولايات الدولة العثمانية ·

ويرجع الباحث أن على يوسف كان يقصد بذلك اتهام السلطان عبد الحميد بالظلم ، وهو ما فهمه السلطان العثمانى ·

وقد دفع ذلك لويس عوض الى القول : ان المؤيد كان يهدف بحملاته على فساد الادارة العثمـــانية الى تقويض مبدأ التبعيـــة العثمانية ، وقد استفاد الانجليز من موقف المؤيد لأنه قوى فكرة مصر للمصريين ، وقوض هيبة الدولة العثمانية فى مصر مما دعم فكرة انسلاخ مصر عن الدولة العثمانية ·

ويعارض الباحث هذا القول اذ أن النظرة الكلية لموقف المؤيد من الدولة العثمانية خلال هذه الفترة التى كانت فيها تنطق بلسان الحركة الوطنية بكل أجنحتها المتحالفة مع الخديو تؤكد بشكل عام تأييدها للدولة العثمانية ، ودفاعها عن الجامعة الاسلامية ، وقد سبق أن أوضحنا أن أول مرة تلوح فيها المؤيد بالثورة على الانجليز لم تكن من أجل القضية المصرية ، وانما كانت من أجل الدفاع عن الدولة العثمانية ·

ويعترف لويس عوض فى الصفحة نفسها التى ساق فيها هذا القول : بأن المؤيد جريدة اسلامية تدعو الى الجامعة الاسلامية ، ولكن ليس بالضرورة داخل اطار الخلافة العثمانية ·

والحقيقة أن الشيخ على يوسف قد أشار الى عدم ايمانـــه بالجامعة الاسلامية من الناحية السياسية ، ولكن يجب دراسة هذه

الاشارة فى سياقها التاريخى ، ولذلك راعى الباحث التسلسل الزمنى للافكار المطروحة ، ودراسة الظروف التاريخية التى طرحت فيها هذه الأفكار اذ ارتبطت هذه الاشارة بظهور اتجاهات جديدة للشيخ على يوسف والخديويين فيما يختص بالقضية الوطنية كما أن المؤيد كانت فى تلك الفترة تنطق بلسان تحالف القوى الوطنية الذى ضم مصطفى كامل والمجموعة التى شكلت فيما بعد الحزب الوطنى ، وهو وجماعته أكثر التيارات الوطنية ايمانا بالجامعة الاسلامية ، وحتى اذا افترضنا أن على يوسف كان لا يؤمن بالجامعة الاسلامية من الناحية السياسية منذ بداية حياته ، فان المؤيد قد أصبحت ملتزمة بمقتضى التحالف بأن تدافع عن الجامعة الاسلامية ·

اما بالنسبة للحملة التى شنتها المؤيد على اختلال الادارة العثمانية ، واشارتها الى ظلم السلطان عبد الحميد فى ردها على رسالة مراد الداغستانى فانها قد قدمت لها بأن المؤيد لايحيد عن الاخلاص فى سبيل خدمة الدولة العلية ، ولا تضعف حوادث الأيام مهما تعاظمت عزيمته فى الدفاع عن حقوق السلطان الشرعية ·

واذا نظرنا الى مابعد هذه الحملة نجد أن المؤيد قد ناصرت الدولة العثمانية خلال الثورة اليونانية داعية المصريين الى الاكتتاب تلبية لنداء الجامعة الاسلامية ، وطالبت بتشكيل لجان لجمع الاعانات فى القاهرة والمدن الكبرى ·

وأكدت المؤيد أن المصريين من الأمم التابعة لجلالة السلطان الأعظم تبعية سيادة سياسية وولاء ملىء ، ويجب عليهم أن يظهروا ميلهم الى جلالة متبوعهم الأعظم ·

وخصصت المؤيد صفحتها الاولى خلال شهرى مارس وابريل ١٨٩٧ لنشر اخبار الحرب بين الدولة العلية واليونان ، وخصصت

صفحتها الثالثة لنشر قوائم باسماء المتبرعين للدولـــة وقيمة هذه التبرعات ٠

وقد تفاخرت بثقة الأمة بها التى جعلتها تؤدى بعض ما يجب عليها لخدمة الدولة العلية فى هذه الظروف الحرجة ، فقد اكتتب ما يزيد على الف اسم فى قائمة هذه الجريدة للاعانة العسكرية ٠

كما طالبت بارسال بعض الفرق العسكرية المصرية الى ميادين القتال لمحاربة أعداء الدولة ٠

وقد كشفت المؤيد عن الهدف من المحافظة على الروابط بين مصر والدولة العثمانية حيث قالت : ان انجلترا تعمل على ترسيخ سلطتها فى مصـــر بهـدم نفوذ السلطان السـياسى ، ولذلك فـــان المصريين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم قد فقهوا كنه عمل الانجليز وقاوموا دسائسهم ، وهم اليوم أكثر تعلقا بسيادة الباب العالى لأنهم يعلمون أن انجلترا ستضع حمايتها على وادى النيل متى لاح لها ضعف الدولة العلية ٠

كما أكدت أنـــه ليس للدين أى دخل أو أقل علاقة بمساعدة المصريين للدولة العلية ، بل هى تعبير عن احساس وطنى شريف اشترك فيه المسلم والقبطى من أبناء وادى النيل ٠

واعتبرت المؤيد أن هذه المساعدات التى قدمهـــا المصــــريون للدولة العلية مظاهرة من الأمة المصرية بأسرها ضـــد الاحتــلال الانجليزى ، فالمصريون يعلمون أن كل دسائس انجلترا فى الشرق ترمى الى امتلاك وادى النيل ، وأن الانجليز يعملون لتقسيم الدول العثمانية لكى يأخذوا مصر وبلاد العرب ، ويفرضوا سيطرتهم على الاسلام كله ٠

ويؤكد ذلك صحة تحليلنا السابق لتمسك الوطنيين المصريين بفكرة الجامعة الاسلامية ، وأنهم رأوا فى المحافظة على تبعية مصر للدولة العثمانية أداة سياسية مهمة يرفعونها فى وجه الاحتلال لاثبات عدم شرعية وجوده ، كما رأوا أن انجلترا لن تستطيع اعلان حمايتها على مصر فى ظل وجود هذه التبعية التى تضمنها المعاهدات الدولية ، ومن ثم يمكن اعتبار موقف الحركة الوطنية من التبعية للدولة العثمانية موقفا تكتيكيا ، وليس موقفا ثابتا ، كما أنه موقف يشترك فيه ـ كما تؤكد المؤيد ـ جميع المصريين المسلمين والأقباط ، ولا دخل للمشاعر الدينية فى ذلك ، اذ ان الهدف هو حماية مصر من الأطماع الاستعمارية ، ويمكن أن يفسر ذلك حقيقة أن الحزب الوطنى رغم أنه أكثر التيارات الوطنية تمسكا بالجامعة الاسلامية ودفاعا عنها قد استطاع أن يجمع داخله جميع المصريين : مسلمين وأقباطا ، ومن هذا المنطلق ظلت المؤيد تدعو الى المحافظة على تبعية مصر للدولة العثمانية ، والى الاحتفال بعيد جلوس السلطان عبد الحميد مؤكدة أن هذا الاحتفال هو اقتراح عام من جميع طبقات الأمة ضد وجود المحتلين فى هذه البلاد •

وطالبت المصريين بانتهاز كل فرصة للقيام بالمظاهرات السلمية لاظهار ماتكنه قلوبهم من ولاء صادق لدولتهم العلية ، ورغبتهم فى التحرر من ربقة الاحتلال الأجنبى •

كما أشار مصطفى كامل الى الهدف من الدعوة لاتحاد العالم الاسلامى حيث قال : ان اتحاد العالم الاسلامى هو اتحاد ضد الانجليز ، وليس ضد العالم المسيحى ، فالانجليز هم الاعداء •

واعتبرت المؤيد أن الاستقلال الداخلى المحدود الذى منحته تركيا لمصر قد أصبح مصيبة كبيرة عليها لأن الانجليز استضعفوا

جانب الحكومة المصرية وانتزعوا منها سلطتها المحدودة ، وهذه نتيجة طبيعية لأن انجلترا تطمع فى امتلاك مصر ، ولكنها لا تستطيع الوصول الى هذه الغاية الا باضعاف سيادة الدولـــة العلية على مصـر ٠

كما اعتبرت المؤيد تمسك الخديو عباس بالسيادة العثمانية أحد مصادر شرعيته ٠

وحيا مصطفى كامل زيارة الخديو عباس لتركيا عام ١٨٩٨ مؤكدا أن سياسة الخديو تقوم على احترام رغبة الأمة المصرية ، والارتباط بالدولة العلية ، ولأننا نعلم أن الشـــقاق داعى الدمـار والانحطاط ، وأن الاتحـــاد روح القوة والفلاح كنا أول من يحيى زيارة العباس لجلالة الخليفة الأعظم ، ونستقبلها بصدور ممتلئة بالسرور ، ومهما عمل الدخلاء على تفريق الكلمة فلن يجدوا منـا الا عمالا للاتحاد وخداما أوفياء للدولة ننادى فى كل وقت وفى كل آن سائر العثمانيين وكافة المسلمين بالتشبه بالجندى العثمانى الذى ينادى بأعلى صوته فى ساحة القتال والجراح على جسده كالنجوم فى السماء ليحيى جلالة السلطان ٠

وعندما كتب فارس نمر فى المقطم يهاجم فـــكرة الجامعـة الاسلامية رد عليه على يوسف مدافعا عن الجـامعة الاســـلامية واعتبرها من أنفع الأشياء للمسلمين لأنه ان كانت دول أوروبا جميعا أعداء لنا ونحن معاشر المسلمين ضعاف ، وأنه اذا كانت أوروبا ترى تحقيق الجامعة ضد مصلحتها فذلك يرجع الى أن تقارب المسلمين بعضهم ببعض وتبادلهم شعائر الوحدة الملية هو طريق القوة والقوة دعامة الحياة وسياجها ، وطالب على يوسف بأن يتفق محبو الاسلام والدولة العلية على أنجح الوسائل لتحقيق تلك الجامعة ٠

لكن فى أواخر عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٠١ نجد أن المؤيد قد ضعفت حماستها للجامعة الاسلامية ، ولم يظهر أى مقال خلال عام ١٩٠٠ بالذات يدافع عن تبعية مصر للدولة العثمانية ، ونشرت كتاب « طبائع الاستبداد » لعبد الرحمن الكواكبى ولا شك أن الكواكبى كان يقصد بكتابه السلطان عبد الحميد ، رغم تحفظه الشديد فى الاشارة الى ذلك حتى لايعتبر تأييدا لوشاية الجواسيس فيما اتهموا به الخديو من التطلع الى الخلافة والعمل على اثارة الفتنة فى البلاد العربية ٠

وقد تسبب نشر المؤيد لكتاب الكواكبى فى منعها من دخول الدولة العثمانية حيث يذكر على يوسف أن هذه المقالات كانت أشد على نفس السلطان من كل ما نشره الكتاب الأحرار فى مصر وأوروبا وأن مختار باشا المبعوث العثمانى فى القاهرة قد نصح صاحب جريدة المؤيد بعدم النشر ، ويعث له بمن ينذره بسوء مصيره ٠

وقد ارتبط هذا الموقف بالخلاف بين السلطان العثمانى والخديو عباس خلال عامى ١٨٩٩ و ١٩٠٠ حول جزيرة طاشيوز الذى لجأ خلاله الخديو للضغط على السلطان عن طريق تشجيع من يفر الى مصر من حزب تركيا الفتاة الذى كان يناوىء السلطان عبد الحميد فى تركيا ، لكن هذه الوسيلة لم تفلح فلجأ الخديو عباس الى الضغط على هؤلاء الاحرار للعودة الى تركيا ارضاء للسلطان ٠

كما ارتبط ذلك أيضا بتفكك التحالف بين الخديو وجماعته ومصطفى كامل الذى لجأ الى اصدار جريدة اللواء ، وبالتالى فان المؤيد قد أصبحت لا تعبر عن كل القوى الوطنية كما كانت من قبل ، ولا تلتزم بتأييد الجامعة الاسلامية ٠

ورغم ذلك فلا يمكن القول بأن المؤيد قد تحولت الى الجانب المعادى لحركة الجامعة الاسلامية وان قلت حماستها لها ، كما ارتبط موقفها من الجامعة الاسلامية بالعلاقات بين الخديو عباس التى أصبحت منذ عام ١٩٠٠ معبرة عن سياساته والسلطان العثمانى •

ففى عام ١٩٠١ تحسنت العلاقات بين الخديو والسلطان ، وقام الأول بزيارة الأستانة ، وقد رحبت المؤيد بهذه الزيارة مؤكدة أن « الخلافة العثمانية » هى الملجأ الأعلى لكل المسلمين فى الأرض لأنها بمثابة الرأس لجثمان العالم الاسلامى ، واذا كانت مصر بمثابة القلب من جسم العالم الاسلامى ، فمن ضرورة حياة الأمة الاسلامية أن يكون الرأس والقلب سليمين متضامنين فى تدبير وظائف الحياة لذلك الجسم •

ونتيجة لتحسن العلاقات بين السلطان عبد الحميد والخديو عباس عادت المؤيد الى تبنى فكرة الجامعة الاسلامية والدفاع عنها من جديد حيث اعتبرت أن الدين اقوى أساس تشاد عليه دعائم الروابط الاجتماعية بين أفراد النوع الانسانى مهما تباينت مشاربهم ، واختلفت أغراضهم ، وتعددت لغاتهم ، فهو اجمع من الوحدات الأخرى كالجنس والوطن واللغة ، فرابطة الدين أقوى مؤثر على النفوس لأنها أحرزت الشرفين ، وهما اتصال سندها بمبدع الكائنات ودوامها الى آخر العمر ، أما رابطة الجنس وان دامت بدوام سببها وهو القرابة فمصدرها وهم الآباء أقل مرتبة من الربوبية ، واذا كانت الوحدة الجنسية بهذه المثابة من الضعف فما بالك بما هو اضعف منها وهو الوطن واللغة ؟ •

ولكن المؤيد عادت مرة اخرى الى اهمال الدعوة للجامعة الاسلامية خلال فترة سياسة المهادنة مع الاحتلال التى اتبعها الخديو

وبالتالى على يوسف والتى امتدت حتى حادثة طابا فى يناير ١٩٠٦ حيث عادت المؤيد الى تأييد تبعية مصر لتركيا ، وتأييد موقف الدولة العثمانية فى حادثة طابا ، وقد توحد موقف المؤيد واللواء اثناء هذه الأزمة ، وتؤكد بعض المصـــادر حدوث اتفاق بين الخديويين والحزب الوطنى ، وسعى الى توحيد الجهود خلال الأزمة ، واعادة علاقاته مع مصطفى كامل ٠

وقد دفع موقف المؤيد فى حادثة طابا الانجليز الى التشكك فى حقيقة اعتدال على يوسف ـ كما أوضحنا فى الفصل الثانى ـ واعتبار أن المحك لاختبار صحة هذا الاعتدال هو حدوث أزمات بين الانجليز والدولة العثمانية ، أو بينهم وبين الخديو ٠

لكن المؤكد أن محاولات توحيد جهود الوطنيين قد فشلت عقب أزمة طابا التى اعتقد الوطنيون أن تركيا سوف تنتهزها لفتح باب المسألة المصرية ٠

ولعل معالجة المؤيد لقضية الجامعة الاسلامية بعد حادثة طابا تكشف عن حقائق مهمة يمكن أن توضح موقف الخديويين من هذه القضـية ، والارتبـاط بيـن هذه القضـية والمـوقف من الاحتلال البريطانى ٠

وقد برزت أول اشارة من المؤيد تدل على ابتعاد الخديويين عن فكرة الجامعة الاسلامية فى أغسطس عام ١٩٠٦ عندما ردت المؤيد على السير جراى وزير الخارجية البريطانية الذى قال : ان استقلال مصر يعنى عودتها الى تركيا ، حيث نفت المـؤيد ذلك مؤكدة أن المصريين لايحبون أن يرجعوا للادارة التركية ، ولا يتأخرون عن الدفاع بنفوسهم لو شاءت تركيا يوما أن تهدم استقلال مصر ٠

كما فسر حافظ عوض الجامعة الاسلامية بأنها ميل المسلمين الى تجديد حياة الممالك الاسلامية ، وانعاش حياتها ، وأنها شعور دينى بحت لا علاقة له بمبدأ الوطنية المصرية ، ونفى باسم الأمة المصرية أن يكون هناك من يفكر فى اعادة مصر لتركيا ٠

أما على يوسف فقد أعلن عن تخليه تماما عن فكرة الجامعة الاسلامية حيث اعتبر أن الجامعة الاسلامية قسمان دينية وسياسية ، أما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهى العقيدة الاسلامية ، وأخوة الاسلام ، أما الجامعة السياسية فهى غير موجودة ولم توجد ولن توجد كما يتوهمون لعدم وجود رابطة المصلحة ٠

وهذا يعنى أن على يوسف لم يعد يعترف بوجود الجامعة الاسلامية كحركة سياسية ، وهذا يتناقض مع كل ما كتبه من قبل عن الجامعة الاسلامية والرابطة العثمانية ٠

وقد ارتبط هذا الموقف ببداية سياسة الوفاق بين الخديو والمعتمد البريطانى ، وفقدان الخديويين الأمل فى مساعدة تركيا لتحقيق الجلاء عن مصر ٠

ورغم ذلك فقد تزعم على يوسف الدعوة لاشتراك مصر فى مجلس المبعوثان وقامت المؤيد بحملة صحفية مهمة من أجل تحقيق هذا الهدف الأمر الذى أثار استياء جميع الوطنيين حتى الحزب الوطنى الذى يعلن دائما تمسكه بالسيادة التركية على مصر ٠

ولكن هناك بعض الدلائل التى تشير الى أن الهدف من هذه الدعوة لم يكن ربط مصر بالدولة العثمانية فقد أشار على يوسف الى أن مهمة الوفد المصرى الذى سينتخب لمجلس المبعوثان هو

الاحتجاج على وجود الاحتلال العسكرى فى مصر ، ومطالبة مجلس المبعوثان بمنح مصر مجلسا نيابيا داخليا لتحكـــم نفســـها طبقا للفرمانات الشاهانية •

ويرى الباحث أن هذه الدعوة كانت مناورة من جانب حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية والخديو عباس بهـدف الضغط على انجلترا ، وتغطية محاولات الخديو وعلى يوسف لاحياء شعار الخلافة العربية ، ونفى التهم التى توجـــه للخديو وجماعتـه فى الاستانة بأن الخديو وعلى يوسف يدبران مؤامرة فى شبه جزيرة العرب رغبة فى التوصل الى الخلافة العربية •

ويتضح ذلك اذا تتبعنا موقف المؤيد من الدولة العثمانية اذ بدأت بعد هذه الدعوة مباشرة فى مهـــاجمة الدولة العلية مرددة بعض الاشاعات عن اتفاق انجلترا وتركيا على مصـــر ، وطالبت المصريين بأن يتيقظوا ، ويعدوا للزمان عدته ، ويفكروا فيما يعملون اذا جاء اليوم الذى تتفق فيه الدولتان على حل المسألة المصرية •

وبذلك وجهت المؤيد ضربة شديدة لحركة الجامعة الاسلامية مستهدفة تحطيم الأساس الذى بنى عليه الوطنيون تأييدهم للحفا على سيادة الدولة العثمانية على مصر باعتبار ذلك وسيلة حماية لمصر من أطماع انجلترا •

وارتبط تشكيكها فى قدرة الدولة العثمانية على حماية مصر من الأطماع الاستعمارية وطرحها لفكرة امكانية تنازل تركيا لانجلترا عن مصر بالتشكيك فى امكانية قيام الجامعة الاسلامية فالمسلمون لايخطر ببالهم امكانية تحقيق تلك الجامعة ، فقد تباينت الشعوب وتباعدت الأطراف ، وحالت الحوائل دون أن يتعارفوا ، فضلا عن

أن يؤلفوا منهم مجموعة كبرى تخفق عليها راية واحدة ، وأن المسلمين من جهة اخرى يعرفون أن محاربة قوى أوروبا فى سبيل تحقيق تلك الجامعة المستحيلة هو انتحار ٠

ان المؤيد كانت تعمل بذلك لخدمة تيار آخر فى الفكر القومى المصرى ارتبطت به ، وان لم تستطع اعلانه نتيجة لضعف هذا التيار ، واعتماده على العمل السرى أكثر من العمل العلنى وهو تيار القومية العربية ؛ ورغم حرص المؤيد على نفى هذا الارتباط ، ونفى هذا التيار أصلا فى مصر ، فان هناك من الأدلة ما يبرهن على ذلك سنوضحها بالتفصيل عند حديثنا عن القومية العربية ٠



المبحث الثانى

القومية العربية

لاشك أن التيار الداعى للجامعة الاسلامية كان مسيطرا على الفكر القومى المصرى وكان لذلك مبرراته اذ ان الاحتلال البريطانى قد جعل قضية مصر تختلف موضوعيا عن قضايا المشرق العربى ، ففى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية المصرية تكافح السيطرة البريطانية ، وتتطلع الى مساعدة الدولة العثمانية كانت الشعوب العربية فى المشرق العربى تكافح من أجل زوال السيطرة العثمانية ، ولذلك ظلت عواطف المصريين مدة طويلة مع الاتراك ، وهذا طبيعى لأنهم فى كفاحهم يتجهون الى الدولة الاسلامية الكبرى التى تستطيع أن تعاونهم على اخراج الانجليز ، وقد أجمع الكتاب فى الوطن العربى على أن الشعب المصرى قد انشغل بقضيته وركز كل جهوده فى التخلص من الاحتلال البريطانى ، وأدى ذلك الى عدم وجود الفكرة العربية فى مصر ٠

واستنادا الى هذا التحليل رأى المؤرخون العرب أن صوت الفكر القومى العربى فى مصر طوال الفترة التى تمتد من الاحتلال

البريطانى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ولسنوات بعدها كان غائبا غيابا نهائيا ، ولكن التحليل الفكرى لمضمون الفترة يؤكد بما لايترك مجالا للشك وجود تيار فكرى قوى فى الحـــركة الوطنيـة المصرية كان ينادى بالقومية العربية يتزعمه واحد من أبرز الكتاب المصريين هو الشيخ على يوسف ·

ويؤكد ذلك الخديو عباس فى مذكراته اذ يقرر أن ســياسة الشيخ على يوسف كانت قائمة بصفة خاصة على الوحدة العربية ، وكان يرى أن من الخطأ أن تقام سياسة شعب على اتفاق روحى بحت ·

كما يؤكد محمد فريد أن على يوسف قد عمل لتحقيق الوحدة العربية مع الخديو عباس عن طريق اثارة الدسائس فى بلاد العرب ضد الدولة العلية ·

ولكننا قد أوضحنا فيما سبق أن على يوسف قد دافـــع عن الجامعة الاسلامية وارتباط مصر بالدولة العثمانية من عام ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٧ ، ويمكن أن نجد تفسيرا لذلك فى مذكرات الخديو عباس الذى يقول : ان الشيخ على يوسف كان يتخذ أحيانا مظهر مدافع عن الاسلام أكثر منه محركا للشعور الوطنى ، وكان الغرض من هذا التكتيك هو أن تتجمع كل القوى المشتتة حول فكرة واحدة عامة ، وخلق عاطفة التماسك والترابط عند الجمـــاهير ، وهى العاطفة التى لا يتم بدونها أى عمل ·

ويتضح من ذلك أن دفاع على يوسف عن الجامعة الاسلامية كان موقفا تكتيكيا بهدف مواجهة الاحتلال البريطانى ـ وقد بينا فيما سبق أنه قد أشار الى ذلك أكثر من مرة ـ بالاضافة الى أنه قد أصبح

ملتزما بتاييدها فى ظل تحالف القوى الوطنية عام ١٩٠٠ كما حرص على يوسف على عدم الكشف عن هويته العربيـة حتى لا يتعرض لعداء الخلافة العثمانية التى كانت ترى فى الدعوة للوحدة العربية موقفا معاديا للسلطنة العثمانية ، وحتى لا يتعرض أيضـا لعداء الكثير من الوطنيين الذين رأوا أن الخلافة الاسلامية والتمسـك بالسيادة التركية وسيلة لحماية مصر من الاطماع الاستعمارية ٠

ويمكن أن يتضح موقف على يوسف اذا استعرضنا تعريفه للقومية حيث نجد أن على يوسف قد رفض اعتبار الدين من مقومات القومية فى سلسلة مقالات نشرها بجريدة الآداب قبل أن يصـدر المؤيد ، كما حدد مقومات القومية فى مقال له بجريدة المؤيد عـام ١٨٨٩ بأنها :

١ ـ الأرض المشتركة فالأمة طائفة من الناس استقطعت حيزا من الكرة الأرضية ٠

٢ ـ وحـدة التاريخ ٠

٣ ـ وحـدة اللغـة ٠

٤ ـ الثقافة المشتركة ٠

٥ ـ الحياة الاقتصادية المشتركة ٠

٦ ـ وحـدة الجنس ٠

٧ ـ وجود الحكومة أو الدولة ٠

واعتبر على يوسف أن اللغة هى أهم مقومات القومية فكـل أمة لابد لها من جامعة تحفظ شملها من التبديد ، وأجزاءهـا من

التفريق غير جامعة الدين ، وتلك الجامعة يجب أن تكون هى الضامن لتوارث الشعور وتكافؤ الاحساس ، وثبت أنه لن تتحقق هذه الصفات فى غير اللغة بين المتكلمين بها ، واللغة العربية من أوسع اللغات دائرة فى الشرق ، والناطقون بها يشعرون بروابط الجامعة .

وحث على يوسف العرب على التمسك باللغة العربية الفصحى لأن التخلى عنها يقضى عليهم بالتفرق والتقاطع .

أما الخديو عباس فقد أشارت بعض المصادر الى أنه كان يطمح الى الخلافة وأراد أن يستمد من سمعة الأزهر سندا دينيا يرجحه على أمراء المسلمين .

وربما تكون محاولات الخديو عباس للحصول على الخلافة قد بدأت منذ توليه العرش عام ١٨٩٢ ، حيث يشير الجميعى الى لقاء الخديو بالأفغانى فى الأستانة مما أثار شكوك السلطان عبد الحميد وأن عباس أوفد ابن عمه الى بلاد نجد لمقابلة ابن الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العربية .

كما أشار مراسل « الستندارد » فى القاهرة عام ١٨٩٢ الى أن الحزب العربى فى مصر قائم لنشر مبادىء جديدة من مقتضاها حصول انقلاب مهم ، وأنهم عازمون على تمديد سلطة الخديو عباس الى طرابلس ، لكن المؤيد نفت ذلك وأكدت أن المصريين جميعا شعارهم الطاعة المطلقة للسلطان المعظم خليفة رسول الله وامير المؤمنين ، وأنهم لا تؤثر عليهم دسائس المضللين ، لكن الخديو عباس اعتمد فى صدامه مع المحتلين على محاولة تجميع القوى الوطنية ، وتحسين علاقاته بالسلطان ، وقد سار معه علي يوسف وجريدته

المؤيد فى هذا الاتجاه لذلك اتجهت المؤيد الى الدفاع عن فكرة الجامعة الاسلامية والارتباط بالدولة العثمانية ٠

لكننا ايضا يمكن أن نلحظ خلال الفترة من ١٨٩٢ حتى عام ١٩٠٠ بعض الاشارات التى تكشف عن الاتجاهات الحقيقية لعلى يوسف فنجده فى عام ١٨٩٢ يؤكد على نسبة المصريين الى الأمة العربية ، وأن الانجليز لا يستطيعون ازالة الخصائص القومية للمصريين لأنهم من سلالة الدولة العربية والمملكة المصرية القديمة ٠

كما حاولت الربط بين مصر والدول العربية اذ ان الخطر الذى يصيب مصر لا يقتصر عليها وحدها ، ولكنه خطر يتعداها الى الممالك العربية وعلى الأخص الحرمين الشريفين ، واشارت الى مطامع انجلترا فى البلاد العربية ٠

كما قامت المؤيد بحملة صحفية مهمة خلال عام ١٨٩٩ على التعليم باللغة الانجليزية مؤكدة أن اللغة العربية هى أكبر رابطة تجمع شمل الأمة ، وفى ضياعها ضياع للأمة ، وفقدان للعصبية القومية ، وأن اللغة هى أعظم رابطة لجسم الأمة ومن أهم مشخصاتها ٠

واذا كان عام ١٩٠٠ قد شهد تفكك التحالف بين القوى الوطنية فى مصر ، وضعف حماسة المؤيد للجامعة الاسلامية مما جعلها تفسح صفحاتها لكتاب الكواكبى ، فان المؤيد قد بدأت منذ ذلك العام فى افساح صفحاتها للكتاب العرب والتفاخر بالامجاد العربية حيث نشرت مقالين للدكتور بشارة زلزل تحدث فيهما عن امجاد العرب وقال : ان اسم العرب الذى دونه التاريخ بمداد الفخر

يعتبره الآن كثيرون حتى من ابنـــاء جلدتنا مرادفا للفظ الهمجية والتوحش وطالب الذين يقولون ذلك بالبحث فى تاريـــخ التمدن واستنطاق آثار الأمم القديمة وتحدث عن العلماء العرب وما أضافوه الى المدنية الحديثة ٠

كما بدأت المؤيد فى التفاخر بذكريات التـــاريخ العربى وأن الأمة العربية قد بلغت من العز والمجد وشهرة الصيت ما لم تبلغه أمة سواها ٠

لكن البداية الحقيقية للتفكير فى القومية العربية ، وانتقال هذا التفكير الى مرحلة التخطيط لتنفيذ الفكرة كان عام ١٩٠٧ ، ففى خلال هذا العام حدثت عدة تطورات مهمة فى مصر فقد استقال كرومر وتم تعيين جورست الذى جاء بسياسة الوفاق بين المعتمد البريطانى والخديو عباس فلم يعد عباس محتاجا لعون أو تأييد الباب العالى وبالتالى لم يعد ما يحول دون تشجيعه لفكرة الخلافة العربية ، ولعل ذلك كان السبب فى تفكير بعض القوميين العرب فى اقتراح اســم عباس حلمى عاهلا للدولة العربية الجديدة الموحدة بعد أن يتـم انسلاخها عن تركيا الى جانب شريف مكة الحسين بن على كخليفة وما يؤكد ذلك أن الخديو كان يشجع الدعاية له فى صحف سوريا ، وأكرم وفادة المهاجرين السوريين الى مصر حتى صار أوفى الحكام العرب حظا فى عرش سوريا فى حالة استقلالها ٠

كما شهد هذا العام تكوين حزب الاصـلاح على المبـــادىء الدستورية الذى ضم عددا من الذين كانـــوا يتفاخرون باصولهـم العربية ، وفى الوقت نفسه كانت المحاولات التى شهدها عام ١٩٠٦ لتوحيد جهود الخديويين والحزب الوطنى قد فشلت على اثر انسحاب

تركيا من طابا ، بل بدأت حملات العداء بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح وبين اللواء والمؤيد .

ورغم أن محاولات الخديو وعلى يوسف العمل على تحقيق الخلافة العربية قد اتخذت طابع السرية والحذر والتردد والاحجام عن الافصاح بهويتها خشية الاصطدام بأغلبية آمنت بأهمية الارتباط بالدولة العثمانية والجامعة الاسلامية ، وأقلية غلب عليهـــا شديد الاعتقاد والتمسك بالقومية المصرية .

فـــان المؤيد قد بدأت الدعوة لذلك بشكل مستتر اتضـــح فى تأكيدها على أهمية مصر بالنسبة للدول العربية فالقطر المصرى قبلة الشعوب العربية وروح نهضتها المنتظرة فهى ترقبه كما يرقب الملاح ابرة البوصلة التى أمامه ليهتدى بها ، وينعطف الى الجهة التى تدل عليها ، وأن مصر تحتل موقع القيادة بالنسبة للبلاد العربية لأنه ليس فى الاقطار العرية قطر أخذ من المدنية الغربية نصيبا وافرا مثل القطر المصرى ، وأن رغبة المصريين فى حفظ استقلالهم واحياء لغتهم ليس فيه مصلحة لهم وحدهم بل هو أيضا من مصلحة جميع اخوانهم المتكلمين بلغتهم .

وقد بدأت بعض الجرائد التركية فى نشر أخبار عن اجتماعات الداعين للقومية العربية فى دار جريدة المؤيد حتى ان البعض قد عبر عن مخاوف السلطان عبد الحميد من مساعى المؤيد بأنه كان ينام فى يلدز وعيناه على شارع محمد على مقر جريدة المؤيد .

وفى الوقت نفسة بدأت جرائد الحزب الوطنى فى القاهرة تهاجم الشيخ على يوسف وتتهمه بأنه يجمع حوله الخارجين على الدولة العثمانية والداعين الى الخلافة العربية وتصفهم بأنهـــم

حزب التأخر ، وترشح الشيخ على يوسف للخلافة ساخرة منه مشيرة الى قضية الزوجية •

ونتيجة لذلك فقد أصدر السلطان العثمانى أمره بمنع دخول المؤيد الممالك العثمانية ، لذلك أصدر الشيخ على يوسف بيانا نشره فى المؤيد ثم أصدره بعد ذلك فى كتاب ينفى فيه اشتغاله بمسألة الخلافة العربية وقد أوضح هذا البيان مايلى :

١ ـ ان المؤيد تؤيد الدستور العثمانى ، ولكنها تحذر من استمرار تسلط الحزب العسكرى ، وجمعية الاتحاد والترقى التى تستمد قوتها من الجيش وتستبد بأمور الدولة •

٢ ـ نفى الشيخ على يوسف أن عزت باشا العابد قد اشترى أى سهم من شركة المؤيد •

٣ ـ نفى على يوسف أن يكون الخديو عباس قد عكر فى مسألة الخلافة العربية حيث تساءل كيف يفكر الخديو عباس بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على الألبانى الأصل فى أن يؤسس خلافة عربية ، وليس فيه قطرة دم واحدة من أصل عربى ، على أن الذين يخصون العرب بالخلافة يجعلونها من حق قريش ، وخديو مصر الحالى ليس بقرشى كما أنه ليس بعربى •

وقد استمرت المؤيد فى نفى التهم الموجهة الى على يوسف بأنه يعمل من أجل الخلافة العربية وقالت : أن العمل لذلك فيه اضرار كبير بالجامعة العثمانية والخلافة الاسلامية بل فيه خيانة كبرى للدولة والملة لأن بتر أى عضو من أعضاء الممالك العثمانية هو سعى فى تمزيق أوصالها ، وتمكين للدول الأجنبية من بلادها ، ولا يفعل

ذلك الا خائن لدولته وملته ، وأى صاحب جريدة مصرية يساعد على هذا يكون خائنا لدولته وملته ويستحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ٠

وأتهمت محمد فريد بأنه يسعى بترديد هذه الاشاعات لالقاء بذور الأحقاد والتفريق بين مصر والاستانة ٠

كما رفع على يوسف دعوى على جريدة العلم اتهمها فيها بالقذف فى حقه لأنها نشرت أن مدير المؤيد وعزت باشا العابد والشريف على باشا وبلال اليمنى قد اجتمعوا حيث ألقى على يوسف خطبة فى هذا الأجتماع يقصد بها هدم الخلافة العثمانية وانشاء خلافة عربية ٠

لكن على يوسف اعترف فى حديث له مع مراسل جريدة الطان الفرنسية فى القاهرة نشرته المؤيد بصحة المحاولات المبذولة لاقامة الخلافة العربية ولكنه قال : ان النهضة العربية ليس القصد منها مناوأة خلافة آل عثمان البتة بل نحن جميعا نرغب فى أن نحافظ على الخلافة الحاضرة بقدر المستطاع ، وأننا لا نتوخى فى الوقت الحاضر سوى توطيد حكم جلالة مولانا السلطان مع اعداد قوى أخرى احتياطية ، وبالتالى فاننا نوطد أركان بناء متزعزع ونجمع الأدوات اللازمة لاستعمالها اذا اتفق تداعى البناء الحاضر بالرغم من المساعى التى نبذلها لتوطيده ، ولكننا لم نحاول قط الشروع فى بناء آخر جديد ٠

ان على يوسف بذلك يعترف بالعمل على اعداد قوى أخرى احتياطية فى حالة سقوط الخلافة العثمانية ، ولا شك أن هذه القوى هى الخلافة العربية ، ويحدد الدافع للعمل للوحدة العربية فى عجز

الدولة العثمانية وضعفها والتنبؤ بسقوطها ، لكن نفيه الشروع فى البناء الجديد ، وأن الهدف منه ليس مناوأة خلافة آل عثمان ، فان اتجاه المؤيد ومعالجتها للموضوع يؤكد أنها قد بدأت فى العمل على تحقيق الوحدة من خلال الوسائل التالية :

١ ـ التشكيك فى قدرة الدولة العثمانية على حماية البلاد العربية ، والتلويح بامكانية اتفاق تركيا مع انجلترا على القضية المصرية ، وعدم امكانية تحقيق الجامعة الاسلامية كما أوضحنا عند حديثنا عن الجامعة الاسلامية •

٢ ـ التأكيد على أن المصريين ينتمون الى الأمة العربية ذات الفضل العظيم فى حفظ الاسلام ونشر رايته على أرجاء المعمورة ، وما مجد الترك الحاضر الا بعض مجد العرب الغابر ، ولولا العرب أنفسهم لما قام للترك مجد ولا دولة حتى الآن •

٣ ـ التأكيد على أن الخلافة من حق العرب وأنه اذا تجاوز العرب عن حقهم الصحيح فى أن يكون الخليفة منهم ، فهل من الحكمة أن يؤخذ منهم حق توظيف عربى فى وظيفة عربية ؟

واعترضت على تعيين رجل تركى لا يعرف اللغة العربية فى وظيفة مكة والمدينة وتساءلت هل من الحكمة أن يتولى القضاء فى المدينة رجل تركى وأهلها كلهم عرب ، وهى بلد الهجرة النبوية ومهبط الوحى العربى ؟ •

٤ ـ التأكيد على أن الأمة العربية هى الركن الركين من أركان الجامعة العثمانية وأن الاستبداد الثقيل هو السبب فى تأخرها ودعوة الناطقين بالضاد الى أن يهبوا من سباتهم العميق •

٥ ـ التصدى لحملة الصحف التركية على العرب بمناسبة ثورة اليمن ، وتأييدها لهجوم الطلبة العرب على دار جريدة أقدام التركية ، وتأكيدها أن العرب أمة قائمة بذاتها ، وأنهم أصحاب الفضل الأول على جميع أمم الشرق خصوصا الترك ٠

٦ ـ محاولة التذكير بالأمجاد العربية ، وعرض الصفحات المشرفة من تاريخ العرب سواء قبل الاسلام أو بعده ، وأن مدنية أوروبا مقتبسة من الحضارة العربية ، كما حددت وسيلة قيام نهضة عربية حديثة فى « المحافظة على التراث العربى ، والحضارة العربية » ٠

٧ ـ الدعوة لاحياء اللغة العربية والاقتصار على التعليم بها فى البلاد العربية حيث اعترضت على اصدار قانون يجعل اللغة التركية هى اللغة الرسمية فى الدولة العثمانية ، واعتبرت أن هذا القانون محاولة للوقوف فى وجه تقدم العرب ، وأن من يحاول الوقوف فى وجه التقدم العربى هو أكبر خائن لهذه الأمة وأكبر جان على الوطن ٠

وحثت العرب على اقامة المدارس الابتدائية والثانوية من أجل اقامة نهضة علمية عصرية بلغة آبائهم ، لأن اللغة هى أقوى الروابط بين البشر ٠

٨ ـ التأكيد على أن العروبة تجمع بين المسلم والمسيحى فمن الخطأ خلط اللغة والأدب بالدين ، فان اللغة لاتختص بدين دون آخر ٠

كما أكدت على الوحدة الوطنية بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب عبر التاريخ ، وكشفت عن دور المسيحيين فى الحضارة العربية ، وأنهم والمسلمين شركاء فى جميع المناصب والمباحث ٠

وهذا يكشف عن جانب مهم من جوانب الفكرة القومية العربية وهى كونها فكرة علمانية لا تقوم على أساس الروابط الدينية ٠

٩ ـ تأييد المؤتمر العربى المنعقد فى باريس عام ١٩١٣ حيث اعتبرت أن هذا المؤتمر حجة امام أوروبا على أن للعرب وجودا حيا لا يستهان به ، وخصائص قومية لايمكن انتزاعها ، وأن هذا المؤتمر يمثل الأمة العربية ، ويحقق كلمة التضامن الاجتماعى بينها ٠

١٠ ـ نشر بعض خطب الأمراء العرب التى تتحدث عن مجد الأمة العربية ٠

١ ـ الاهتمام بنشر أخبار البلاد العربية ، والتـــأكيد على ارتباطها بمصر وارتباط مصر بهـــا فمصـــر والشام تضـــمهما وحدة الجنس واللغة وجامعة المصلحة والدين ، وما أصابت احداهما شدة الا نهضت الأخرى لنجدتها ٠

كما أشارت الى ما يتهدد فلسطين من أخطـــار الاستيطان الصهيونى حيث قالت : ان الوطنيين فى فلسطين قد سلبت نصـــف أملاكهـــم وعقاراتهـــم وأراضـــيهم ، وانتقلت هذه الأراضى الى الاسرائيليين المستعمرين الذين لا يزالون يبذلون كل جهودهم لامتلاك ما بقى ، وقد أسس لهذه الغاية عدد كبير من الشركات والمصارف ، وكلها ترمى لغاية واحدة هى استرجاع المملكة الاسرائيلية ، وتشييد دولتها حتى يتمكن اليهود بذلك من ايجاد وطن لهم ، وقد أصبحت جميع المستعمرات الاسرائيلية فى فلسطين بلادا مستقلة يحكمهـــا مجلس مؤلف من أهلها ولها عدا ذلك مدارس وادارات خاصة بها لا دخل للحكومة فى شىء منها مطلقا ، وأنهم يديرون أمورهم حسبما تقتضيه مصلحتهم القومية ٠

وحذرت المؤيد من الأطماع الاسرائيلية فى فلسطين حيث قالت : ان أطماع الاسرائيليين كبيرة ، وقد خطوا فى سبيل الحصول عليها خطوات واسعة حتى أصبح لهم من النفوذ والسلطان ما جعلهم يؤسسون حكومة صهيونية مستقلة ضمن الحكومة العثمانية ٠.

وطالبت المؤيد رجال الحل والعقد بأن ينظروا بعين الحذر والقلق الى ما يجريه زعماء الصهيونيين من الحيل والتفنن فى سبيل الاستعمار ، كما طالبت الحكومة العثمانية بالضرب على أيدى جماعة السماسرة الذين يسهلون الطرق لتهريب المهاجرين اليهود ٠

كما حذرت المؤيد مرة أخرى من مساعى عنتابى رئيس الاتحاد الاسرائيلى فى فلسطين ، ومن محاولاته لاقامة دولة صهيونية ٠

وهكذا يتضح أن الفكرة القومية العربية قد طرحت فى مصر فى تلك الفترة ، وانها كانت احد التيارات الرئيسية فى الفكر القومى المصرى فكون مفكر مصرى فى أهمية على يوسف يؤمن بالعروبة ، ويعمل من أجل تحقيق الوحدة العربية فان هذا لأكبر دليل على أن التيار العربى كان تيارا رئيسيا فى الحركة الوطنية المصرية ٠

ولكن هذا التيار ما لبث أن اختفى بعد وفاة الشيخ على يوسف وتحولت المؤيد بعد وفاته للدعوة الوطنية المصرية ٠



المبحث الثالث

الوطنية المصرية

كان تيار الوطنية المصرية هو التيار الثالث فى الفكر القومى المصرى ، الذى قاده أحمد لطفى السيد فى مواجهة تيار الجامعة الاسلامية ، وقد دعا هذا التيار الى المصرية الخالصة ، والاعتماد على المصريين فى تحقيق الاستقلال والحرية ، فأخذ يبث الشعور بالوطنية الاقليمية ، والقومية المصرية بدلا من الجامعة الاسلامية ٠

لكن يونان لبيب رزق يعترض على القول بغياب مشاعر الانتماء للوطن المصرى حتى قيام حزب الأمة ، ويرى أن مثقفى حزب الأمة طرحوا رؤية جديدة فى هذا الشأن تختلف مع المنظور المطروح الذى تبناه الحزب الوطنى والذى قام على أنه لا تعارض بين الانتماء الوطنى والانتماء الاسلامى ، أما حزب الأمة فقد جرد الانتماء الوطنى من أى روافد دينية متأثرا فى هذا بدوافع علمانية قوية ٠

ويتفق الباحث مع هذا الرأى ويؤكد أن مشاعر الانتماء للوطن المصرى لم تغب عن الوطنيين المصريين ، ولكنهم لم يروا أى تعارض

بين هذه المشاعر والارتبـاط بالجامعـة الاسلامية ، فقد اعتبرت المؤيد أن التمسك بالارتباط الجامعة العثمانية موقف يشترك فيـه جميع المصريين المسلمين والاقباط ، ولا دخل للمشاعر الدينية فى ذلك اذ ان الهدف هو حماية مصر من الاطماع الاستعمارية كما أوضحنا من قبل ٠

ومن ناحية أخرى فقد تبنى الوطنيون فكرة الوحدة الوطنية بين المسـلمين والأقبـاط ودافعوا عنهـا ، وهـى احـد المقومات الأساسية لفكرة الوطنية المصرية حتى وهم يرفعون راية الارتباط بالخلافة الاسلامية ، وهذا يمكن أن يفسر لنا ارتباط الاقباط بالحزب الوطنى أكثر الاحزاب المصرية ارتباطا واقتناعا بفكرة الجامعـة الاسلامية أكثر من ارتباطهم بحزب الامة صاحب الدعوة لفكـرة الوطنية المصرية ٠

واذا تتبعنا موقف جريدة المؤيد من فكرة الوحدة الوطنية نجد أنها خلال الفترة التى كانت تنادى فيها بالجامعة الاسلامية تؤكـد بشكل مستمر على الروابط المشتركة بين المسلمين والاقباط باعتبارهم المصريين الحقيقيين التابعين لذرية واحدة ، وأن المصريين المسلمين الذين يراهم الانسان فى المدن وفى الارياف غالبا ليسوا من نسل العرب على الاطلاق ولا يصح اطلاق هذا اللفظ عليهم الا من حيث اللسان والدين ، ومجرد النظر اليهم يكفى للاقتناع بأن شـكلهم الخلقى وشكل الاقباط متطابقان فى المميزات الجنسية تمام المطابقة ، وبناء على ذلك فان المسلمين المصريين ليسوا فى الحقيقة الا أقباطا اتخذوا الاسلام دينا لهم ٠

كما تصدت المؤيد لحملة الصحف الانجليزية على المسـلمين المصريين ، واتهامهم بالتعصب الدينى مستخدمة أسلوب الاستمالات

العاطفية فى التأكيد على تسامح المسلمين الدينى وارتباطهم بالاقباط فكم رضع الطفل القبطى من ثدى المسلمة ، والطفل المسلم من ثدى القبطية ، كل هذا ولم يكن فى البلاد احتلال أجنبى ، ولا سلطان يقهر على هذه المصافاة ·

وشارك مصطفى كامل فى التأكيد على الوحدة الوطنية ، وعلى أن المسلمين فى مصر ، مصريون من نسل الفراعنة ، وأشار الى أن الانجليز يغررون بالأقباط لاحداث عداوة بينهم وبين المسلمين أى بين اخوة تجمعهم جامعة الوطن العزيز ، فهم يوحون اليهم أن المسلمين غرباء ، وأن البلاد للاقباط وحدهم ، وهذه وشاية يرفضها التاريخ ، لأن هناك الف دليل تاريخى على أن القسم الاكبر من مسلمى مصر مصريون من نسل الفراعنة الاولين ، فهل يغير اعتناق الدين الاسلامى الدم المصرى والجنسية المصرية ·

وفى عام ١٩٠٦ لم يجد الانجليز تبريرا لحادثة دنشواى سوى اتهام المسلمين بالتعصب الدينى ، وكنتيجة لذلك اتجهت جريدة مصر الى نقل صفحات من كتاب الجبرتى كدليل على تعصب المسلمين ، وقد اهتمت المؤيد بالرد على ذلك مؤكدة أن الكاتب الذى ينتهز فرصة الوقيعة بفئة من أبناء البلاد مسلمين أو مسيحيين باثارة أحقاد التاريخ القديم هو أثيم يسىء الى نفسه أكثر مما يسىء لغيره ·

وقد رد أحد محررى المؤيد الأقباط ، وهو ميخائيل أرمانيوس ، على جريدة مصر ، وأبدى هذا الكاتب دهشته من أن تكون جريدة مصر هى المتعصبة ضد مسلمى القطر ·

وعرفت المؤيد الشعور الوطنى بانه ذلك الحس الذى يقوم بنفس كل مصرى مهما اختلف دينه ياخذ به الى حب بلاده حبا ينسى فيه

شخصيته وينزل مع الوطنى زميله فى الوطنية المخالف له فى الدين الى خدمة البلد الذى يضم الكل تحت جناحيه ٠

وطالبت المؤيد المصريين بألا يخلطوا بين شعورهم الوطني العام والشعور الدينى الشخصى الخاص ، وأن يميزوا بين هذين النوعين من الشعور وأن يعملوا على تقوية جامعتهم المصرية ، وأن يكونوا معا يدا واحدة حتى يتمكنوا من مواجهة الاحتلال ويستردوا حقوقهم الطبيعية التى اغتصبها ٠

وظلت المؤيد تكرر دعوتها للاتحاد بين المسلمين والاقباط بهدف مواجهة الاحتلال البريطانى والى نسيان خلافاتهم حول الوظائف فمصلحة المسلمين والاقباط اليوم قائمة على حسن التوفيق بينهم ، وترك الخصام فى مسألة الوظائف التى جعلها البعض فى هذه الأيام بضاعته ، وليس ورا‌ءها الا الاساءة الحقيقية للامة والوطن ٠

وتمنت المؤيد أن تمحى من الصحافة المصرية ، ومن الجمعيات المصرية ، ومن المعاملات ، كلمة مسلم وقبطى فى مصر ، ولا تكون الا كلمة مصرى ينطق بها فتشمل المسلم والمسيحى على السواء ٠

وطالبت جميع زعماء البلاد والأحزاب السياسية بتربية الأمة تربية دستورية بالعمل على تكوين الجامعة المصرية بدون نظر الى الدين أو الجنس أو العنصر ما دام الكل مصريين فى حظيرة الوطنية المصرية ، والمساواة أمام القانون ٠

كما تفاخرت المؤيد بأن حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية يضم تحت جناحيه عنصرى الوطن أى الاخوين المسلم والمسيحى ، وأن الحزب قد حفظ لكل منهما كرامته ، وعمل على التوفيق بينهما شأن الأحزاب التى تسعى الى الاستقلال من طرقه الحقيقية ٠

وطالبت بأن تكون الكفاءة هى المعيار الوحيد لاختيار الموظفين بصرف النظر عن الدين فالمسلمون والأقباط لا ميزة لاحدهم على الآخر باعتبارهم مصريين ، ولا يصح أن يكون الدين سببا من الأسباب المعطلة لكفاءة الشخص واقتداره فى عمله ، أو عقبة من العقبات التى تحول دون ترقيته ٠

لكن مصر تعرضت فى أعقاب اغتيال بطرس غالى عام ١٩١٠ لفتنة طائفية خطيرة تشير معظم الدراسات الى أن الانجليز هم الذين دفعوا الأمور لاحداث هذه الأزمة بهدف اجهاض الحركة الوطنية المصرية فهم الذين أوهموا عددا من الأقباط بأن الاحتلال ضرورى لحماية الاقلية من خطر الاغلبية ٠ ويؤكد ذلك أيضا حليم بركات وحسين فوزى النجار وفاروق أبو زيد ، وقد استخدم الاحتلال لذلك جريدتين قبطيتين هما « مصر » و « الوطن » ٠

حيث رددت هاتان الصحيفتان تفسير الانجليز لاغتيال بطرس غالى بانه يرجع الى التعصب الدينى ، فى حين حرصت المؤيد على التأكيد بأن الجريمة سياسية ، وأن القاتل كان مجرما سياسيا تشبع بآراء وأميال فاسدة تلقاها عن فوضويى أوروبا لا عن خطبة خطيب فى مسجد ، ولا عن درس دينى فى معهد فحرام أن تسند هذه الجريمة الى التعصب الدينى ٠

واتهمت المؤيد جريدتى مصر والوطن بالعمل على التفريق بين عنصرى الأمة خدمة للاحتلال ،وحذرت الجريدة من بذر بذور التفرقة بين العنصريين المتآخيين ٠

كما استمرت المؤيد فى الاشارة الى الاحتلال باعتباره المحرك لهذه الفتنة ، وانه أراد فى ظروف كثيرة أن يجرى على قاعدة فرق

تسد ، وكثيرا ما دس كرومر السم في الدسم من أجـــل هذا فاتى بالاحصائيات التى تميز بين المسلم والقبطى فى المنافع الماديـــة والأدبية ليحث هذا مرة على النهوض ، وذاك مرة أخرى .

وقد استخدمت رسائل القراء الأقباط في محـــاولة لتهدئــة المعركة ونفت أن جريدتى مصر والوطن تعبران عن الأقباط ، كمــا أكدت أن آراء أغلبية الأقباط ممتزجة بآراء باقى الأمة المصـــرية ، متوجهة نحو غرض واحد وهو الاستقلال التام ورفعة شأن الوطن .

لكن الأمر اختلف بعد عقد المؤتمـــر القبطى اذ هاجمت هذا المؤتمر متهمة اياه بالدعوة الى الثورة ، وأن مطالبه ترمى الى انكار الصبغة الرسمية لحكومة مصر .

واقترحت المؤيد عقد مؤتمر اسلامى للرد على المؤتمر القبطى ، ولكنها اقترحت تسميته بالمؤتمر المصرى مبررة ذلك بأنه سيبحث فى المنافع الحقيقية الاجتماعية والملية بخلاف المؤتمر القبطى الذى قام باسم جماعة من الأقباط .

ثم أخذت تنشر قوائم بالوظائف التى يتولاها الأقباط فى مصر والمرتبات التى يحصلون عليها ، وتصف الأقباط بأنهم خارجون عن اطار الجماعة الوطنية ، كما أخذت تنشر أخبار المؤتمر المصـــرى ودراساته .

ولكن رغم عنف المعركـــة وعنف الاتهامات المتبادلة ، فـــان المؤيد كانت ترفع دائما وفى قلب الخلاف شعار الوحدة الوطنية ، وتدافع عن هذا الشعار .

ففى اثناء عقد المؤتمر المصرى اكدت المؤيـــد أن المصـــريين

المسلمين يعتبرون المسيحيين اخوانا لهم ، وأن كل مخلص فى محبة مصر يشعر بالأسف لهذا الانقسام ٠

وقد اتجهت المؤيد فى أواخر عام ١٩١٣ ، وبعد وفاة على يوسف ، وفشل محاولات الخديويين فى تحقيق الخلافة العربية الى الدعوة للوطنية المصرية والتأكيد على أن الأمة المصرية ليست عربا، ولكنها من أمة الفراعنة غلب عليها لسان العرب ، وأن مصر تحتاج الى اتحاد عنصريها اتحادا تاما ، فيرى المسلم والقبطى أنه مصرى قبل كل شىء ، وتهاجم الأتراك ، وتصور مظالمهم فى وادى النيل لتكون عبرة ونبراسا يستضىء به من لاتزال العاطفة الدينية تحول بينهم وبين ما تشتهى مصر من الحرية والعدل والانصاف ٠

كما أكدت ان الاقباط شركاء للمسلمين فى هذه الحيـــاة ، ولاغنى لأحد الطرفين عن الآخر مادام الجميع يستظلون براية واحدة هى العلم المصرى ٠

***

الخاتمـــــة

أوضحت الدراسة أن موقف جريدة المؤيد من الاحتلال قد تطور من خلال ثلاث مراحل على النحو التالى :

اولا : فى الفترة من ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٠ :

ان جريدة المؤيد قد قامت بحملات صحفية مهمة فى الهجوم على الاحتلال خاصة فى فترات الصراع بين الخديو عباس ولورد كرومر وقد كانت المؤيد فى هذه الفترة تمثل لسان تحالف القوى الوطنية التى التفت حول الخديو عباس ، ولعبتدورا مهما فى الهجوم على الاحتلال خلال حملات استرداد السودان وحادثة فاشودة ٠

ثانيا : فى الفترة من ١٩٠٠ حتى عام ١٩٠٧ :

وقد اتجهت المؤيد فى هذه الفترة الى مهادنة الاحتلال الانجليزى ملتزمة فى ذلك بموقف الخديو عباس من الانجليز ، لكن موقف المهادنة هذا قد انتهى فى عام ١٩٠٦ ، واتجهت المؤيد مرة اخرى لمهاجمة الاحتلال البريطانى خلال حادثتى طابا ودنشواى ٠

ثالثا : في الفترة من ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٥ :

وقد أيدت المؤيد فى هذه الفترة سياسة الوفاق بين الخديو عباس والمعتمد البريطانى الدون جورست ، كما التزمت بموقف حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية الذى بنى سياسته على الاعتماد على وعود انجلترا بالجلاء عن مصر ، وفى نهاية هذه الفترة أيدت المؤيد الانجليز ورحبت باعلان الحماية على مصر فى عام ١٩١٤ ٠

أما بالنسبة للمتغيرات التى ساهمت فى تشكيل موقف جريدة المؤيد من الاحتلال البريطانى فقد أوضحت الدراسة أن موقف المؤيد من الاحتلال البريطانى قد حكمته المتغيرات التالية :

١ ـ تبعية المؤيد للخديو عباس والتزامها بتأييد سياساته ٠

٢ ـ علاقتها بالقوى الوطنية من ناحية ، وعلاقات هذه القوى بالخديو عباس وخاصة الحزب الوطنى من ناحية أخرى ٠

٣ ـ الوضع الدولى لمصر ، فقد أثبتت الدراسة أن المؤيد كانت تشتد فى مهاجمة الاحتلال البريطانى ، حينما ترى أن هناك فرصة للحصول على مساعدة احدى الدول الأجنبية لمصر فى تحقيق الجلاء مثل حادثتى فاشودة وطابا ٠

وفيما يتعلق بموقف جريدة المؤيد من قضية الدستور والحريات العامة :

اثبتت الدراسة أن المؤيد قد قامت بحملة صحفية مهمة مطالبة بمنح مصر الدستور النيابى ، وقد بدأت هذه الحملة مع طرح الشيخ على يوسف لاقتراحه على الجمعية العمومية عام ١٩٠٥ الذى طالب فيه الحكومة بالدستور ، لكن المؤيد وجهت هذا المطلب ـ فيما بعد ـ الى الانجليز الأمر الذى أثار استياء الوطنيين ولكن

المؤيد فسرت ذلك بأن الخديو عباس يرغب فى اعطاء أمته الدستور ، لكنه لا يستطيع ذلك نتيجة لمعارضة الانجليز .

وقد دافعت المؤيد عن حق المصريين فى الحكم النيابى وكفاءتهم له .

لكن اهتمامها بالحريات العامة كان ضئيلا ، كما أنها قد استخدمت رسائل القراء لتأييد اعادة العمل بقانون المطبوعات عام ١٩٠٩ ، فى الوقت الذى أعلنت فيها رفضها لاعادة العمل بهذا القانون ، ولكنها حاولت فى الوقت نفسه القاء مسئولية اعادة العمل بهذا القانون على الصحف المتطرفة كاللواء مما يثبت أنها قد التزمت بموقف الخديو عباس الذى سعى بنفسه لاعادة هذا القانون .

وفيما يتعلق بموقفها من قضية التعليم فقد أثبتت الدراسة اهتمامها بهذه القضية ، فقد طالبت بتعميم التعليم ومجانيته فى المراحل الابتدائية والثانوية ، كما دعت الى انشاء المدارس الأهلية وانشاء ادارة معارف أهلية كبديل لنظارة المعارف التى يسيطر عليها الانجليز .

كما أيدت مشروع انشاء الجامعة الاهلية ، وفتحت صفحاتها لنشر قوائم الاكتتاب فى هذا المشروع .

وبالنسبة لقضية تحرير المرأة ، فقد بينت الدراسة تناقض موقفها من هذه القضية فبالرغم من أنها نشرت مقالات قاسم أمين عام ١٨٩٩ ، فانها فتحت صفحاتها لمعارضى تحرير المرأة ، وقد عكست موقفا محافظا من هذه القضية خاصة بعد عام ١٩٠١ ، وأشارت الى أن رفضها للسفور هو رفض للنموذج الغربى ومحافظة على الهوية القومية .

أما عن موقفها من تدفق رؤوس الأموال الأوربية فى مصر فقد بينت الدراسة أن جريدة المؤيد قد حذرت من خطر تزايد رأس المال الأجنبى فى مصر ، وأشارت الى أن الدول الاوربية تريد استعمار مصر اقتصاديا ٠

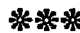
كما أثبتت الدراسة أن المؤيد دعت الى حماية الصناعة الوطنية وذلك بزيادة الرسوم الجمركية على البضائع الاوربية المستوردة ، كما دعت الى انشاء مصنع للطرابيش والمحافظة على الصناعات الوطنية التقليدية ، ومقاطعة المصريين للبضائع الأجنبية ووصفت كل من يشترى سلعة من بائع أجنبى ولها بديل عند بائع وطنى بأنه خائن لوطنه ، كما أكدت أن العمل على تنمية الصناعة الوطنية واجب دينى ٠

وأوضحت الدراسة أن المؤيد فتحت صفحاتها لطلعت حرب وعمر لطفى للدعوة لانشاء بنك وطنى مصرى برؤوس أموال مصرية وأكدت أنه احدى الوسائل المهمة لتحقيق الاستقلال والخلاص من ربقة الاستعباد المالى ، كما ربطت بين الدعوة لانشاء بنك وطنى ودعوة اجتماعية هدفها تحسين حال الفلاحين المصريين وتخليصهم من تحكم المرابين الأجانب ٠

وأوضحت الدراسة أن جريدة المؤيد قد التزمت بالدعوة للجامعة الاسلامية خاصة فى الفترة التى لعبت فيها دور الالسان الناطق باسم تحالف القوى الوطنية ١٨٩٢ ـ ١٩٠٠ ولكن حماستها لدعوة الجامعة الاسلامية بدأت تفتر تدريجا حتى أعلنت فى عام ١٩٠٧ أنها تؤمن بالجامعة الاسلامية من الناحية الدينية ولا تؤمن بها من الناحية السياسية ، وأن تحقيق اتحاد بين الشعوب الاسلامية مستحيل لعدم وجود رابطة المصلحة بين هذه الشعوب ٠

أما بالنسبة لموقف المؤيد من الدعوة لعروبة مصر فقد أثبتت الدراسة أن جريدة المؤيد قد أكـــدت على وجود روابط بين مصر والبلاد العربية ، وأن المصريين ينتمون الى الأمة العربية ، كما عملت على تحقيق الوحدة العربية ودعت العـــرب الى النهوض وتعميم المعارف بلغتهم ، كما عملت على تذكير العرب بأمجادهم السالفة ودعوة العرب الى الحفاظ على لغتهم وقوميتهم ، واهتمت بنشر اخبار البلاد العربية ، والتأكيد على ارتباطها بمصر وارتباط مصر بهـا ٠

أما موقفها من الدعوة للوطنية المصرية فقد بينت الدراسة دفاع المؤيد عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط واتجاهها للدعوة للوطنية المصرية فى نهاية عام ١٩١٣ بعد وفاة على يوسف وفشل محاولات الخديويين فى تحقيق الخلافة العربية ، وقد أكدت بعد عام ١٩١٣ على أن الأمة المصرية ليست عربا ، ولكنها من أمة الفراعنة غلب عليها لسان العرب ٠



مصـــادر البحث ومراجعـــه

اولا : الصحف :

١ ـ جريدة المؤيد ١٨٨٩ ـ ١٩١٥ ٠

٢ ـ جريدة الاهـــرام ، ٢٨ نوفمبر ١٩٥٣ ، ١٩ أغسطس ١٩٥٤ ، ٩ يناير ١٩٧٧ ٠

٣ ـ جريدة الفلاح ، ١٥ مارس ١٨٩٨ ٠

٤ ـ جريدة المقطم ، ١٨ مارس ١٨٩٨ ٠

٥ ـ جريدة البلاغ ، ٢٦ اكتوبر ١٩٣٤ ٠

٦ ـ مجلة الشباب ، ٢٤ فبراير ١٩٣٦ ، ٢٢ مارس ١٩٣٦ ٠

٧ ـ مجلة الدوحة ، فبراير ١٩٨٣ ٠

٨ ـ مجلة روز اليوسف ، ٩ يوليو ١٩٨٤ ٠

ثانيا : رسائل غير منشورة :

ـ أحمد الشربيني السيد ، التجارة المصرية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشـــورة ، (كلية الآداب ، جامعـــة القاهرة) ١٩٨٥ ٠

- أميرة محمد المرسى العباسى ، الصحافة الحزبية فى مصر ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ ، رسالة ما جستير غير منشورة (كلية الاعلام جامعة القاهرة) ١٩٧٩ .
- تيسير محمد أحمد أبو عرجة ، جريدة المقطم ودورها فى الدعاية للاحتلال الانجليزى ، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاعلام ، جامعة القاهرة) ١٩٧٨ .
- جرجس سلامة ميخائيل ، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاداب جامعة القاهرة) ١٩٦٠ .
- راسم محمد الجمال ، عباس محمود العقاد فى تاريخ الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب ، جامعة القاهرة) ١٩٧٤ .
- سيد عبد المنعم السيد ، سياسة الاحتلال الانجليزى فى مصر فى عهد اللورد كرومر ١٨٨٣ ـ ١٩٠٧ رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب جامعة القاهرة) ١٩٧٢ .
- عبد العزيز شرف ، محمد حسين هيكل صحفيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب جامعة القاهرة) ١٩٧٢ .
- فاروق يوسف يوسف أحمد ، تطور نظام الحكم النيابى فى مصر من الاحتلال حتى الحماية ، رسالة ماجستير غير منشورة (مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة) ١٩٦٣ .
- فؤاد أحمد سليم ، العناصر التيبوغرافية فى الصحف المصرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الاعلام ، جامعة القاهرة) ١٩٨١ .

- محمد سعد أحمد ابراهيم ، أمين الرافعي صـــحفيا ودوره في الحركة الوطنية رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاعلام جامعة القاهرة) ١٩٨٣ .

- محمد عبد الوهاب سيد أحمد ، حزب الاصلاح على المبــادىء الدستورية رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاداب ، جامعة عين شمس) ١٩٨٠ .

- نور يعقوب نجار ، عبد الرحمن الكواكبي صــحفيا ، رســـالة ماجستير غير منشورة (كلية الاداب : جامعة القاهرة) ١٩٧٥ .

- يوسف خليل جاد الله ، تطور الحركـــة القومية في مصـــر ١٨٨٢ ـ ١٩١٩ رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الاداب ، جامعة القاهرة) ١٩٥٧ .

ثالثا : مذكرات شخصية :

- احمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، جـ٢ ، القسم الأول ط١ ، (القاهرة : مطبعة مصر) ١٩٣٦ .

- مذكرات الخديو عباس حلمي ، جريدة المصرى ، ابريل ـ يوليو ١٩٥١ .

- محمد حسين هيكل ، مذكرات في الســـياسة المصــرية ، جـ١ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥١ .

- محمد فريد ، مذكراتي بعد الهجرة ١٩٠٤ ـ ١٩١٩ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٨ .

- بحوث ومذكرات غير منشورة :

- محمد جمال الدين المسدى ، مذكرات فى تاريخ مصر المعاصر ، مذكرات مطبوعة على الاستنسل (كلية الاعلام ، جامعة القاهرة) ١٩٧٧ ·

رابعا : كتب عربية أو مترجمة :

- ابراهيم امام ، دراسات فى الفن الصحفى ، (القاهرة : مكتبة الانجلو) ١٩٧١ ·
- ——— فن الاخراج الصحفى ، (القاهرة : مكتبة الانجلو) ١٩٧٧ ·
- ابراهيم عبده ، اعلام الصحافة العربية ، ط١ (القاهرة : مكتبة الاداب) ١٩٤٤ ·
- ——— تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ـ ١٩٨١ ، ط٤ ، (القاهرة : مؤسسة سجل العرب) ١٩٨٢ ·
- اجلال خليفة ، اتجاهات حديثة فى فن التحرير الصحفى ، ط٢ (القاهرة مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٨١ ·
- أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ ، ط٣ ، (القاهرة : دار الكاتب العربى) ١٩٥٤ ·
- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، جـ٣ (القاهرة : مطابع دار الشعب) ١٩٧٣ ·
- أحمد حسين الصاوى ، طباعة الصحف واخراجها ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر) ١٩٦٥ ·

- أحمد رمزى ، الانتخابات وأحكامها ، ط١ ، (القاهرة : مطبعة الاداب) ١٩١١ .

- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٧٣ .

- اديب مروة ، الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ط١ ، (بيروت : دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ .

- آرثر ادوارد جولد شميت (الابن) ، الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل – محمد فريد) ، ترجمة فؤاد دواره ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٣ .

- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مصطفى كامل ، (القاهرة : مطبعة الجبلاوى) ١٩٧٦ .

- اليتوربيرنز ، الاستعمار البريطانى فى مصر ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، (القاهرة : دار القرن العشرين للنشر) ١٩٤٥ .

- أنور الجندى ، الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية ، (القاهرة : مطبعة الرسالة) بدون تاريخ .

- ————— ، تطور الصحافة العربية فى مصر ، (القاهرة : مطبعة الرسالة) ، بدون تاريخ .

- جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والاحزاب فى مصر ، ترجمة سامى الليثى (القاهرة : مكتبة مدبولى) بدون تاريخ .

- جمال الدين العطيفي ، حرية الصحافة ، ط٢ ، (القـــاهرة : مطابع الاهرام التجارية) ، ١٩٧٤ ٠
- جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الاعلام ، ط٢ ، (القاهرة دار الفكر العربى) ، ١٩٧٨ ٠
- حسن عثمـــان ، منهج البحث التاريخى ، ط٤ (القـــاهرة : دار المعارف) ، ١٩٨٠ ٠
- حسين فوزى النجار ، أحمد لطفي السيد ، ط٢ ، (القـاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٥ ٠
- حليـم بركــــات ، المجتمع العربى المعاصر ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية) ١٩٨٤ ٠
- خليل صابات ، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم ، ط٢ ، (القاهرة : دار المعارف) ، ١٩٦٨ ٠
- ــــــــــ ، تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، (القاهرة : دار المعارف) ١٩٥٨ ٠
- ــــــــــ ، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها ، ط٤ (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٨٥ ٠
- خليل صابات وسامى عزيز ويونان لبيب رزق ، حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ ــ ١٩٢٤ (القاهرة : مكتبة الوعى العربى) بدون تاريخ ٠
- ذوقان قرقوط ، تطور الفكرة العربية فى مصر ١٨٠٥ ــ ١٩٣٦ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٧٢
- رفعت السـعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ــ ١٩٢٥ ، ط٥ (القاهرة : دار الثقافة الجديدة) ١٩٨٠ ٠

- رؤوف عباس حامد ، النظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧ ـ ١٩١٤ ، ط١ (القاهرة : دار الفكر الحديث للطباعة والنشر) ١٩٧٣ ٠

- سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر) ١٩٦٨ ٠

- سعيد اسماعيل على ، المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩٢٣ ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية) ، ١٩٧٢ ٠

- صبحى وحيدة ، فى أصول المسألة المصرية ، (القاهرة : مكتبة مدبولى) ، بدون تاريخ ٠

- صلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٢ ٠

- عباس محمود العقاد ، محمد عبده ، سلسلة أعلام العرب ، (القاهرة : دار الكاتب العربى) ١٩٦٩ ٠

- عبد الخالق محمد لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى عام ١٩١٤ ، (القاهرة : دار المعارف) ١٩٧١ ٠

- عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، ط٣ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٢ ٠

- ــــــــــ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٩ ٠

- ــــــــــ ، مصر البعث الوطنى ، سلسلة دراسات قومية ، (القاهرة : مطابع الشروق) ١٩٧٩ ٠

- ــــــــــ ، مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، ط۱ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابى حلبى) ١٩٤٢ .
- عبد الصبور مرزوق ، الخطابة السياسية فى مصر من الاحتلال البريطانى الى اعلان الحماية ، (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر) ١٩٦٧ .
- عبد العاطى محمد أحمد ، الفكر السياسى للامام محمد عبده ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٨ .
- عبد العزيز الرفاعى ، الديمقراطية والاحزاب السياسية فى مصر الحديثة والمعاصرة ١٨٧٥ ــ ١٩٥٢ ، (القاهرة : دار الشروق) ١٩٧٧ .
- عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ــ ١٩٣٦ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ .
- عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط٣ (القاهرة : دار الفكر العربى) ١٩٦٦ .
- ــــــــــ ، قصة الصحافة العربية فى مصر منذ نشأتها الى منتصف القرن العشرين ، (بغداد : مطبعة المعارف) ١٩٦٧ .
- ــــــــــ ، المدخل فى فن التحرير الصحفى ، ط٢ ، (القاهرة دار الفكر العربى) ١٩٥٨ .
- عبد المنعم الجميعى ، الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ ــ ١٩١٤ ، (القاهرة : دار الكتاب الجامعى) ١٩٨٢ .
- عصمت سيف الدولة ، النظام النيابى ومشكلة الديمقراطية ، (القاهرة : دار القاهرة للثقافة والنشر) ١٩٧٦ .

- علي الحديدي ، عبد الله النديم خطيب الوطنية ، سلسلة اعلام العرب ، (القاهرة : مكتبة مصر) بدون تاريخ ٠

- علي الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر ، (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق) ١٩٧٧ ٠

- ـــــــــ ، التجديد في الفكر السياسى المصرى الحديث ، (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٧٥ ٠

- علي يوسف ، أيام الجناب الخديو المعظم فى دار السعادة (القاهرة : مطبعة الاداب) بدون تاريخ ٠

- ـــــــــ ، بيان فى خطة المؤيد تجاه الدولة العثمانية ، (القاهرة : مطبعة الاداب) ١٩٠٩ ٠

- فاروق أبو زيد ، ازمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، (القاهرة : مكتبة مدبولى) ، بدون تاريخ ٠

- ـــــــــ ، أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية ، (القاهرة : دار الفكر والفن) ١٩٧٦ ٠

- ـــــــــ ، صفحات مجهولة من عصر التنوير الصحفى ، (القاهرة العربى للنشر والتوزيع) ١٩٧٧ ٠

- فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، جـ٣ (بيروت : المطبعة الادبية) ، ١٩١٤ ٠

- لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث من عهد اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٣ ٠

- محمد أحمد أنيس ، تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، (القاهرة : مطبعة الجبلاوى) ١٩٧٧ .

- محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، (القاهرة : دار النهضة العربية) بدون تاريخ .

- محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢ ، ط٢ (القاهرة : مكتبة مدبولى) ١٩٧٣ .

- محمد كامل الفقي ، الأزهر وأثره في النهضة الادبية الحديثة ، جـ١ ، (القاهرة : مجمع البحوث الاسلامية) ١٩٨٢ .

- محمد مصطفى صفوت ، الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه (القاهرة : دار الفكر العربى) ١٩٥٢ .

- محمد نصر ، دنشواى والصحافة ، (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ١٩٥٨ .

- محمود كامل المحامي ، اشهر القضايا المصرية ، (القاهرة : مطبعة الاعتماد) ، ١٩٤٦ .

- محمود نجيب أبو الليل ، الامانى الوطنية والمشكلات المصرية في الصحف الفرنسية منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الأولى) ١٩٥٣ .

- مختار التهامي ، ثلاث معارك فكرية ، (القاهرة : دار مأمون للطباعة) ، بدون تاريخ .

- مصطفى النحاس جبر يوسف ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة

الوطنية ١٩٠٦ ـ ١٩١٤ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٥ .

- نبيه بيومى عبد الله ، تطور الفكرة العربية فى مصر ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ١٩٧٥ .

- نصر عبد الحميد نصر ، مصر وحركة الجامعة الاسلامية ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٤ .

- يونان لبيب رزق ، الاحزاب السياسية فى مصر ١٩٠٧ ـ ١٩٨٤ ، (القاهرة : دار الهلال) ، ١٩٨٤ .

- ــــــــــ ، الاحزاب المصرية قبل عام ١٩٥٢ ، (القاهرة : مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية) ١٩٧٧ .

خامسا : المراجع الأجنبية :

- Cromer, Earl of, Abbas 11 (London : Macmilland and Co., Limited) 1015.

- Cromer, Earl of, Modern Egypt, Vol., 11 (London : Macmilian and Co., Limited) 1908.

- Elgood, P.G., Egypt, (London : Arrowsmith Limited) 1935).

- Lloyed, Lord, Egypt since Cromer, Vol. I, (London : Macmillan and Co. Limited) 1933.

— Marlow, John, Anglo Egyptian relations 1800 - 1953 (London : The cressert Press) 1954.

— Tignor L. Robert, Modernization and British Colonial rule in Egypt 1822 — 1914, (U.S.A. Princeton University Press) 1966.

— Warren, Carl, Modern news reporting (U.S.A. : Harper and Row Publishers) 1959.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

المبحث الأول

المبحث الثانـى

المبحث الثالث

صدر في هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٢ ـ علي ماهر :
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
٤ ـ التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
٥ ـ غارات أوروبا على الشواطيء المصرية في العصور الوسطى ،
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، جـ ١ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧
٧ ـ صلاح الدين الأيوبي ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
٨ ـ رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،
د. علي بركات ، ١٩٨٧
٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية :
محمود فوزي ، ١٩٨٧
١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٧
١٢ ـ هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى :
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
د٠ نجـوى كامـل ، ١٩٨٩
٢٥ ـ المجتمع الاسـلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د٠ سعد اسماعيل على ، ١٩٨٩
٢٧ ـ فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج ٠ بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٨ ـ فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج ٠ بتلر : ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشيديين ،
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٠
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـكرى القـاضى ، ١٩٨٩
٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
٣٣ ـ مصر وقضـايا الجنوب الأفريقى : نرظة على الأوضـاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د٠ خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د٠ يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبو العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د. حسن حبشي ، ١٩٩١

٤٦ ــ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ــ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ــ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ــ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ــ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ــ ١٩٧٩) ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ــ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ــ ١٩٥٤) ،**
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ــ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للتقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ــ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ــ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ــ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ــ **الحروب الصليبية جـ ٢ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ــ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،**
د. حلمى احمد شلبى فى ١٩٩٢

٥٧ ــ **مصر الاسلامية وأهل الذمة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ــ **أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،**
د. ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣

٥٩ ــ **الرأسمالية الصناعيــة فى مصر ، من التمصيــر الى التأميم (١٩٥٧ ــ ١٩٦١) ،**
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ــ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ــ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ــ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ــ **موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،**
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ــ **مصر وحقوق الانســان ، بين الحقيقة والافتراء : دراســة وثائقيــة ،**
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ــ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩١٧) ،**
د. ســهام نصــار ، ١٩٩٣

٦٦ ــ **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،**
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ ــ **مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) . أعـدها للنشر :
د٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ــ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصـورى ، ترجمـة وتعليـق : د٠ حسن حبشي ، ١٩٩٣

٦٩ ــ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ــ ١٩٥١)،**
د٠ محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ــ **أهـل الذمة فى الاسـلام ،**
تأليف : أ٠س٠ ترتون ، ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشي، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ــ **مذكرات اللورد كلين (١٩٣٤ ــ ١٩٤٦) ،**
اعداد : نريفور ايفانز ، ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ــ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المـالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ــ **تاريخ جامعـة القـاهرة ،**
د٠ رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ــ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، جـ١ ، في العصر الفرعوني،**
د٠ سمير يحى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ــ **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د٠ سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ــ **دور التعليم المصرى فى النضـال الوطنى (زمن الاحتلال البريطـانى) ،**
د٠ سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د. أحمد الشربيني ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد : ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د. نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ج ٢ ،**
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) ،**
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة د. عبد الرؤوف أحمد عمرو

رقم الايداع ١٩٩٧/٤٧٠٠

I.S.B.N. 977 — 01 — 5163 — 7 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

ويمكن القول: أن تبعية المؤيد الكاملة للخديو هى السبب فى اضطراب وتذبذب مواقفها من الاحتلال خلال الفترة السابقة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧ ما بين تأييد الاحتلال وامتداح كرومر والاشادة به ومحاولة استخدام مشاعر المسلمين الدينية لتأييده بوصفه الرجل المنزه عن اضطهاد الاديان، ومهاجمة الاحتلال خلال عام ١٩٠٦، هذا بالاضافة إلى تمسكها بخطة الاعتماد على الدول الأجنبية لذلك فهى تهادن الاحتلال فى حالة يأسها من الحصول على أى مساعدة من فرنسا وتهاجمه بعنف عندما تظهر بادرة أمل فى أن يؤدى احتلال تركيا لطابا إلى إيجاد حل للمسألة المصرية.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

السعر ٢٧٥ قرشا